الساحل السوري

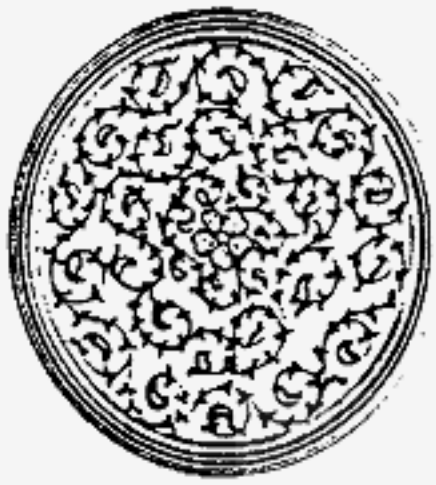

حسن حسين منعم*

الأرض مسرح أحداث لمن عبروا في كل آبدة[1] يبدو لهم أثر
في (رأس شمسرة) آثار تطالعنا أسرار ماض سحيق كله عبر
في كل رابية أو حفرة رقدت بين التراب أعاليم[2] لمن عمروا
في اللاذقية فوق الساحل اصطنعت يد الطبيعة ما يزهو به النظر
تلك الربوع التي تحكي مفاتنها غاباته في جبال زانها قدر[3]
فيه الجمال الذي تبديه رائعة تلك الشواطىء فوق الرمل تنتشر
شمس الغروب خريفاً إذ تداعبه سحر العيون وما يحلو به البصر
كانت حواضره فيما مضى عبراً تبنى حضارتها من ثم تندثر
عصر الحجارة بادٍ في معالمه[4] مأواه كهف وغابات ومنحفر[5]

---

* شاعر وأديب من أسرة (منعم) المعروفة في القلمون ،ومن ابناء عمومة الرئيس الارجنتيني الحالي (كارلوس منعم) . ولد في يبرود (تبعد عن دمشق ٧٠ كم) التابعة لمحافظة ريف دمشق عام ١٩٢٤ ، حصل على شهادة الدراسة الابتدائية من مدرسة يبرود الابتدائية وعلى كفاءة التعليم الاكمالي العام من مدرسة التجهيز الاولى في دمشق ، دخل سلك التعليم الابتدائي عام ١٩٤٣ وأصبح مدير مدرسة ابتدائية في يبرود ثم نال شهادة الدراسة الثانوية ثم اجازة في الحقوق عام ١٩٦٠ ، أمضى في سلك التعليم ثمانية عشر سنة ثم عُين في وزارة الشؤون البلدية والقروية واصبح فيها رئيساً لدائرة المقررات . وعندما صدر قانون الادارة المحلية وأحدثت وزارة الادارة المحلية عام ١٩٧٢ ، انتقل اليها واصبح مديراً للدراسات والشؤون القانونية ويقوم الآن بمهمة معاون وزير الادارة المحلية ، والقصيدة هنا ضمن مخطوط للشاعر ـ لم ينشر حتى الآن ـ وهو عبارة عن ملحمة شعرية في تاريخ المحافظات السورية وحواضرها الشامخة ، وقد وضع فيه لكل محافظة قصيدة طويلة على روي وقافية معينة وشرح في نهاية كل منها الألفاظ ووضّح اسماء الأعلام والأمكنة والأحداث التأريخية .

الـدارسـون أشـاروا في مـبـاحثهم ... من قبل ما أرّخوا في أرضه بشر
السهل في فترات الخير محتضن ... حلو الخضار ونبعاً ماؤه غمر[1]
قبائل للأكاديين كان لها ... عهد مضى خبراً في عُرف منْ خبروا
لآل كنعان ذِكرٌ في عمارته ... تمضي قرون ويبقى الفعل والذكر[2]
من سام أصلهم للعرب ننسبهم ... (فينيقيا) علم[3] اسم هم ابتكروا
في (رأس شمرة) أرسوا دولة وُصفت ... بالبأس طالعها باد به الظفر
مع مصر كان لها أقوى علائقها[4] ... الصحبة اتسقت ما طاولها فتر
دامت كما زعموا يشتد أصرُها[5] ... قرنين ثم بدا في جوّها عكر
فرعونها (طوطمس) أزجى[6] عساكره ... احتل ساحلها قرناً كما قدروا
من بعده دول أولاها قد برزت ... كان اسمها (أُغرتْ) تاريخها عبرُ[7]
جنوبها زعموا (سميرة) انتصبت ... (إرواد) ثالثة تقوى وتشتهر
وقام مثلها (سبان) رابعة ... في شرق جبلة يحكيها لنا الأثر
واللاذقية كانت من توابعها ... (إيمرتا) يومها إسماً لها نشروا
وتوسط الشرق لم تهدأ ممالكه ... في ذلك العصر والعدوان مؤتزر
كم غزوة زعموا حقّية وصلت ... لساحل الشام في إيقاعها ضرر
ومصر ما وهنت في صدها أبداً ... لإشراق مسرح أحداث ومختبر
لثاءها (أغرت) ألت على نقضه ... ومعظمهم ما نوى في تعاونه
الساحل ازدهرت فيه حضارته ... مع الخصوم على ذخر به عبروا
ويومها (أغرت) زادت فجارتها ... رغم الحوادث حيث الشر والخطر
كانت علائقها بمصر قد متنت ... وأهل مرفئها في البحر قد مهروا
قد عاش في (أغرت) ناس هم نسب ... بين حث وبابليون لا فقر
سادت لغات لهاذ في تخاطبهم ... أن شعوب وأجناس كما ذكروا
(إرواد) سيدة في البحر كان لها ... وللحضارة في أرجائهم صور
دارت (بقادش) حرب ما استهين بها ... أسطولها وبه استحلى لها سفر
(إرواد) قد وقفت فيها مقاتلة ... ما بين مصر وجلّيقين لا أخرُ
وأختها (أُغرتْ) كانت مُمَنّعة ... جيشاً لمصر التي قد فاتها ظفر
في ساحل الشام للكنعان مأثرة ... لردها خطراً من مصر منتظر
للأبجدية تاريخ يعود لها ... إذ أوجدت (أُغرتْ) أسّاً به سطروا
عشر مئات من الأعوام قد سُلختْ ... بناؤه ولها سبق به نصر
غزت شعوب بلاد الشام قادمة ... قبل المسيح وزد قرنين تختصر
كانوا بمرابرة للبحر قد نسبوا ... من الشمال وحل الساحل الخطر
تهدمت (أغرتْ) وغيرها مدن ... يا هول ما غدروا يا هول ما نحروا
راحت حضارتها بالغزو تندثر

(إرواد) قد برزت من بعد ذا ومضت ... أقوى حواضره في عيشها أشرُ[١٠]
في الساحل انفردت بالحكم آنئذٍ ... إيلافها[١١] صلة اليونان مزدهر
من فنهم كسبَتْ فنّاً مُطوّرها ... فنان إن جُمعا فالمستوى غزر
من بعد جاء بنو آشور كان لهم ... في ساحل الشام سلطان ومُذكر[١٢]
قبل المسيح قرون سبعة خيمت ... البابليون في إجلائهم ظفروا
دامت ولايتهم حتى أزاحهم ... فرس بإثرهم في الساحل ائتمروا[١٣]
عهداً يزيد على قرنين قد حكموا ... وفي علاقتهم بغيرهم يسر[١٤]
بعالم الفرس واليونان قد وثقت ... (إرواد) ناشطة أسطولها عمر
(عمريت) زاهرة تزهو بمعبدها ... فيه عبادة (ملكارا) ومفتقر
إليه كنعان حاشيه وعابده ... أتباعه وإليه طالما جأروا[١٥]
إسكندر هزم الفرس بعسكره ... وأهل إرواد في استقباله أبهروا
مليكها عجلاً أبدى نجاويه ... أبدى خضوعه واستحلى له الظفر
من بعد إسكندر قواده استلموا ... (سولوكس) واحد منهم كما ذكروا
للاذقية إسم كان يومئذ ... (باريتا) وبه الكنعان قد أمروا
وإسمُ أمّه (لوذكيا) فراق له ... تخليدها ولها ذكر ومشتهر
فغيّر الإسمَ (لوذكيا) ليذكرها ... اللاحقون إذا ما كرّت العصر
اللاذقية في الإسلام تسمية ... للوم باقية ترددها فخرا[١٦]
تقدم نال (لوذكيا) وطوّرها ... ومركز زمن اليونان معتبر
(إرواد) عهدهم زادت سيادتها ... أيامهم برزت ما مثلها جزر
بناتها مدن في الساحل انتشرت ... لحكيمها خضعت وحكمها زخر[١٧]
قبل المسيح بستين وأربعة ... من السنين أتى الرومان وانتصروا
في ساحل الشام آثار تحدثنا ... عنهم كحصن سليمان وما عمروا[١٨]
في جبلة رفعوا للفن مرحهم ... في اللاذقية قوس ماثل أثر
طرطوس تدعى بأنطردوس عهدهم ... وسطى قرون بأنطرطوس تشتهر
دين المسيح سرى إبان دعوته ... في ساحل الشام واستغنى به البشر
في عهد بُطرس تلميذ المسيح إذا ... صحّ الحديث الذي جاءت به السير
قالوا : بطرطوس للعذراء قد نُسبت ... كنيسة كانت الأولى التي اجتدروا[١٩]
في اللاذقية زلزال ألمّ بها ... لم يبق فيها من البنيان مُذْذكرُ[٢٠]
عهد ولاية جُسْتِنْيانَ قد بُنيت ... عادت كحاضرة في حجمها كبر
وباسم زوجته سمّى مدينته ... تدعى (تيُودُورَبَادُسْ) زانها خفر[٢١]
ومن توابعها (بَنْيَاسُ) آنئذٍ ... وجبلةٌ وكذا (بلُتوسُ) قد ذكروا
زالت (بِزَنْطَةُ) في أعقاب معركة ... أبطالها عرب إسلامهم نشروا
ونحن نذكر في اليرموك خاتمة ... أودت بحكمهم في الشام فاندحروا

من حمص سار خلال الفتح حاكمها ... لساحل الشام يحتل وينتصر
يُدعى (عُبَيْدَةَ) للأنصار منتسب ... في عهده أخذ الإسلام يزدهر
كانت إدارة كل الساحل ارتبطت ... بحمص عهدهم في ذلك اختصروا
وأحمد المتنبي زارها وله ... قصائد حكم في سَبْكِها عِبَرُ
في ربع قرن بنو حمدان كان لهم ... في ساحل الشام سلطان ومؤتمر
عنه بزنطة أجلتهم لتحكمه ... عهداً به العيش ممزوج به العبر
من المعرَّة أعلاها قضى زمناً ... في دير فارُوسَ مشتاقاً به وَطَرُ[1]
بنى فلاسفة اليونان في كتب ... فراح يدرسها ما عازه البصر
في اللاذقية حكام سلاجقة ... خاضوا حروب صليبيين فانكسروا
ثم استعاد صلاح الدين ما غنموا ... واحتلّ قلعة صهيون وما عمروا
لكنهم عاودوا كرّاً وكان لهم ... في ساحل الشام بلدان ومنتشر
من المماليك سلطان مهاجمهم ... كان اسمه (قَلَوُنْ) في حربه خسروا
زال المماليك في حرب مدمرة ... في مرج دابق في أعقابها دُحروا
وساحل الشام أضحى ضمن سلطنة ... لآل عثمان في إيلافها حذر
اللاذقية في إيمان عهدهم ... ضمت جبلة ما أمسى لها خبر
بعد سنين ثمان ساء واقعها ... قد أُتبعتْ زمناً لُبْنانَ تنتظر
فيه تولّى أمير عرش مملكة ... من آل معن بفخر الدين مُشتهر
في الآستانة سلطان مؤدبه ... أنهى إمارته أجناده نفروا[2]
والي طرابلس ما كان حافزه ... سوى مكاسبه في الحكم مُنْجِرُ
عشرون شيخاً عليهم جزيةً فُرِضَتْ ... من أجل والٍ وعيش الناس مُعْتَبِرُ
ما كان أسوءهُ في إثْرِ زلْزلةٍ ... واللاذقية من آثارها حُفَرُ
مضى يُخصِّلُ عن عمدٍ ضرائبه ... رغم المُصابِ ودَمْعُ الناس مُنْهَمِرُ
قاد ابن كُبَّةَ (حَنَّا) كل منتقد ... سلوك والٍ على الإيذاء مُقْتَدِرُ
اللاذقية من بعد انتفاضتها ... صارت بأمرٍ من السلطان تأتمرُ
ثم ابنُ كُبَّةَ والٍ في مرابعها ... حتى تُوفي لم يُمْدَدْ له العمر
عادت ليحكمها والي طرابلس ... الظلم غامرها والعدل مُنْحَبِرُ
أيام حكم بني عثمان ما عرفت ... إدارة ثبتت فيها لها ثمر
في مرَّةٍ تبعت بيروت أو فُصلتْ ... عنها لتتبع ما شاءوا وما أمروا
عهد سياسته قهر ومفسدة ... الفقر منتشر والموت منتظر
المخلصون بوحي من عروبتهم ... هبوا ليتقدوا أضحت لهم زُمَرُ
لسان حالهم كانت جريدتهم ... (أبو نواس) تحثُّ من لهم نظر
عهد بغيض مديد العمر حاصله ... جهل وفقر وتخريف ومُزْدَجَرُ[3]
وذُلّ وتابعُهُ عهد مماثله ... عهد فرنسة في بلوائها صُور

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الناس ما وجدوا في حكمها أبداً غير المظالم والإفساد فانفجروا
فأعلنوا ثورة حمراء لاهبةً فداء موطنهم أرواحهم نذروا
اللاذقية لم تبخل بتضحية وفي معاركها لم يَغْلُ مُدَّخَرُ

---

(١) الابدة : الخالدة الذكر ـ (٢) أعاليم : جمع أُعلومة وهي العلامة ـ (٣) القدر : ما يقدره الله ويحكم به ـ (٤) المعالم : جمع مَعْلَم وهو ما يستدل به على الطريق ـ (٥) المنحفر : ما حفر في التراب أو الصخر ـ (٦) نمر : عذب ـ (٧) الذكر : جمع ذِكرة وهي نقيض النسيان ـ (٨) علم : اسم علم ـ (٩) العلائق : جمع علاقة ـ (١٠) الأصر : اسم الفاعل من آصَرَ أَصْراً فلاناً عليه : عطفه ـ (١١) أزجى : ساق ـ (١٢) عمر : عامر ـ (١٣) مؤتثر : من الاثتر منه وبه : حصل فيه أثر منه ـ (١٤) غِيَر الدهر : أحداثه ـ (١٥) الفتر : الفتور والضعف ـ (١٦) سطروا : كتبوا ـ (١٧) أشر : نشط ، مرح ـ (١٨) الإيلاف : الصداقة والعهد ـ (١٩) مُذْكر : ذَكَر ـ (٢٠) ائتمروا : تشاوروا ـ (٢١) اليسر : الليونة والسهولة ـ (٢٢) جأروا : رفعوا صوتهم بالدعاء ـ (٢٣) الفخر : الافتخار ـ (٢٤) زخر : ملأن طافح ـ (٢٥) عمروا : عمّروا ، أنشؤوا ـ (٢٦) اجتدروا : بنوا ـ (٢٧) مذدكر : ما يذكر ـ (٢٨) الخفر : الاستحياء ـ (٢٩) الوطر : الحاجة ـ (٣٠) نفروا : تفرقوا ـ (٣١) مزدجر : ممنوع .

ضوء على القصيدة

منذ سنة ١٢٥٠٠ ـ ١٠٠٠٠ قبل الميلاد كان الساحل السوري مأهولاً بالسكان بدليل الأدوات الصوانية التي عثر عليها فيه . وفي سنة (٧٠٠٠) قبل الميلاد استقر سكانه في رأس شمرة (اوغاريت) .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

في القسم الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد قدمه الكنعانيون .

في النصف الأول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد شهد فراعنة مصر ومنهم طوطمس الثالث غزواتهم على بلاد الشام وخضع الساحل لحكمهم .

في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد ، كان في الساحل ثلاث دول ، مملكة اوغاريت في الشمال ومملكة (مسيرا) قرب طرطوس وتتبعها إرواد وبين هاتين الدولتين دولة صغيرة عاصمتها (سيانو) . ومدينة (باريموتا) كانت تابعة لأوغاريت وهو اسم اللاذقية قديماً في ذلك الزمان كان الشرق الاوسط مسرحاً لنزاع بين الحثيين في الشمال والمصريين في الجنوب وجهد ملوك اوغاريت في المحافظة على دولتهم وبعضهم تعاون مع الحثيين . ورغم هذه الظروف ازدهر الساحل اقتصادياً ، وكان لمرفأ اوغاريت دور كبير في التجارة مع الحثيين والمصريين وصيدا وصور والعالم الإيجي وكانت مكاناً لسكن أناس ينتسبون الى شعوب مختلفة ويتكلمون بسبع لغات بالاضافة للغتها . .

في القرن الرابع عشر قبل الميلاد كان لإرواد أسطول عظيم وفي عام ١٢٩٥ق.م حاربت اوغاريت وإرواد الى جانب الحثيين ضد المصريين في معركة جنوب حمص . وكان في اوغاريت قصور ومعابد وشوارع ومجارير ومكتبات ودواوين متعددة وهي التي أوجدت الأبجدية لتحل محل المبروغليفية والمسمارية .

في مطلع القرن الثاني عشر قبل الميلاد غزت سورية شعوب بربرية جاءت من الشمال

سميت شعوب البحر وهدمت الساحل وزالت أوغاريت . وانتقلت الأهمية لإرواد التي سيطرت على الساحل وأقامت علاقة جيدة مع العالم الإيجي وتأثر الفن الكنعاني بالفن الإيجي .

منذ القرن الحادي عشر وحتى القرن السابع قبل الميلاد بدأت الحملات الآشورية وفي نهاية القرن السابع هذا خضعت إرواد والساحل للحكم البابلي الذي حل محل الحكم الآشوري .

عام (٥٣٩)ق.م انهارت الدولة البابلية وسيطر الفرس الذين احتلوا سورية وفي هذا العهد ازدهر الساحل وتوطدت علاقاته مع اليونان وكان لإرواد اسطول ضخم كما ازدهرت عمريت وأشيد فيها معبد مكرس للإله الكنعاني (ملكارا) .

عام (٣٣٣)ق.م هزم اسكندر المقدوني الفرس وقدم إليه ملك إرواد الخضوع والطاعة حكم الساحل بعد الاسكندر قائده (سولوكوس) وسيطر على (باريموتا) وسماها (لاوذيكيا) باسم والدته .

في عام ٦٤ق.م خضع الساحل للرومان وأصبح جزءاً من الولاية الرومانية السورية .

من المرجح ان طرطوس ظهرت في مطلع القرن الأول الميلادي باسم (انطرادوس) ومعناه مقابل إرواد . وأصبح اسمها في القرون الوسطى (انطرطوس) ثم تحول الى طرطوس ، ويعتقد ان فيها بنيت أول كنيسة في العالم باسم مريم العذراء أيام بطرس تلميذ المسيح . وانتشرت المسيحية في الساحل وظهر أساقفة من اللاذقية وجبلة وبالتوس وبانياس وطرطوس وإرواد في نهاية العهد الروماني . وعام ٣٩٥ انقسمت الامبراطورية الرومانية الى شرقية وغربية ، وحملت الشرقية اسم بيزنطية وعاصمتها القسطنطينية .

عام ٥٢٩ هدم اللاذقية زلزال وأعاد بناءها الامبرطور جوستنيان وسماها (تيودوريادس) على اسم زوجته (تيودورا) وتضم جبلة وبالتوس وبانياس .

في ٢٠ آب ٦٣٦ كانت موقعة اليرموك وعام ٦٣٧ احتل حاكم حمص عبيدة بن الصامت الانصاري الساحل عدا إرواد واستولى معاوية عليها عام ٦٥٠. وفي العهد الأموي تبع الساحل جند حمص .

في عام ٨٥٩ وقع زلزال في اللاذقية وجبلة وفي عام ٩٣٣ زار المتنبي اللاذقية ومنذ عام ٩٤٤ خضع الساحل للحمدانيين وعام ٩٧٥ احتله البيزنطيون . وفي عام ٩٩٠ زار المعري اللاذقية وأقام في دير الفاروس يتعلم الفلسفة اليونانية . وفي عام ١٠٩٧ خضع الساحل للسلاجقة ثم تنازع المسلمون والبيزنطيون والصليبيون .

وفي عام ١١٨٨ استعاد صلاح الدين قسماً كبيراً من الساحل . وقلاوون أخرج الصليبيين ١٢٨٥ ـ ١٣٠٣ من الساحل وإرواد .

انتهى حكم المماليك عام ١٥١٦ بعد معركة مرج دابق وخضع الساحل للعثمانيين ـ وما بين عام ١٨٣٢ ـ ١٨٤٠ كانت حملة المصريين بقيادة ابراهيم باشا ـ في عام ١٦٣٤ تبعت اللاذقية لأمير لبنان فخر الدين المعني وحاربه السلطان وهزمه . وفي عام ١٩١٨ ترك العثمانيون الساحل واحتله الفرنسيون .

فقيد الاسلام الخالد

الشيخ

سليمان الاحمد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

●محمد عباس علي*

العلّامة الاوحد الشيخ سليمان الأحمد من كبار علماء وادباء الامة العربية والاسلامية ، وتخليدا لذكراه الخالدة يقام في كل عام احتفال مهيب يحضره جمع غفير من العلماء والاساتذة ، وهذه القصيدة هي بعض مما القي في احتفال العام ١٩٩٠م لشاعر موهوب من الساحل الاخضر ، وبهذه المناسبة التقينا بنجل الفقيد العظيم ، الدكتور علي سليمان الاحمد ، وشقيق الشاعر الذائع الصيت (بدوي الجبل) وقد زف الينا خبر انتهائه من جمع آثار والده المقدس وهو بصدد طباعتها الآن (ديسمبر ١٩٩٠) ونحن اذ نشد على يديه تأييدا ومؤازرة لاحياء هذا التراث الكريم نوجه نداءنا الى كل الطاقات الخيرة من ابناء الوطن الأعزاء للمبادرة الى نشر وتكريم ادبائنا الذين غمرهم النسيان ولمّ شتات ماتبقى من آثارهم العلمية والادبية .

والعلامة الكبير الشيخ سليمان الاحمد من مواليد قرية الجبيلية من اعمال قضاء جبلة (محافظة اللاذقية) عام (١٢٨٧هـ ـ ١٨٦٩م) وقد نشأ في فترة بلغت فيها الضائقة الاقتصادية اقصاها بسبب ما

---

* شاعر واديب صحفي ، ولد في القرداحة ـ قرية الفرّان عام ١٩٤٢ ، عمل في حقل : الدراسة والصحافة ، له عدة دواوين وكتب ماتزال مخطوطة ، فمن دواوينه :
وهج ورماد ، ورحلة زورق ، ومن كتبه : الخمور المؤرقه ، وكتاب وطني ودائي ، مضارجات فكرية مع رسول حمراتوف ـ ، وكتاب (المطيف) أبان فيه فوارق من شخصية ابي الفرج الاصفهاني وبين دانه (الشخصية العصرية) وقد اعد الكتاب كتمثيلية وادبع من اذاعه دمشق عام ١٩٩٠

كانت عليه الدولة العثمانية الحاكمة آنذاك من سوء الادارة والفوضى ، وقد بلغ فيها الجهل في الجبل العلوي احلكه من جراء قرون من العزلة والكبت والضغط الاجتماعي اورثها التعصب والتزمت ، وانه لمن المفيد ان يضع المرء نفسه في هذه الصورة ليتبين بوضوح قيمة عبقريته وعصاميته التي قادته لتسنم أعلى مراتب العرفان وارائك التجلة في قومه وعند الاخرين ، وما ان حصل بمجرد جده وذكائه على ذخيرة وافية من المعارف حتى بدأ جهاداً صعبا في حرب الخرافات السائدة والحض على العلم والعرفان اثمر أينع الثمر وقد اغنى طاقته على ذلك بما أجرى من اتصال وتواصل مع أعلام اخوانه من مجتهدي الشيعة كالشيخ محمد الحسين ال كاشف الغطاء والسيد عبد الحسين شرف الدين والسيد محسن الامين والسيد هبة الدين الشهرستاني والشيخ محمد رضا الشبيبي وغيرهم ممن شغلوا الساحة العلمية طيلة حياتهم ممن لايزال عبق شذاهم ونور عرفانهم يؤرج المجالس ويشق الدياجر .

وقد عرف له المجمع العلمي العربي بدمشق مكانته فاختاره عضواً فيه عام ١٩٢٢م .

وعرف له الائمة المجتهدون ولاءه وسعه اطلاعه وصدق جهاده فأجيز بالثبت الموسوي الذي يدخله في عداد الثقات الذين تصح روايتهم ويصح ان يروى عنهم . وقد وفت له الامة بعض دينها باقامة حفلة يوبيل ذهبي في اللاذقية سنة ١٩٣٨ اشتركت فيه كل طوائفها وبارى فيها المهجر الوطن وتوحد عليها الجبلان العلويان كما يسميهما السيد عبد الحسين شرف الدين في احدى رسائله . وقد خلف كثيراً من الآثار الادبية وخاصة حول ابي العلاء الذين اختص بدراسته وكذلك بقية ابحاثه اللغوية وتحقيقاته التاريخية التي تمثل ثروة كبيرة .

«الموسم»

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إنه من سُليمان .. وإنه :
بسم الله الرحمن الرحيم

عـلأمَةَ الجيُـلِ ، ماطـابَتِ مَواويـلي ... إلا بمغنـاكَ .. يـاعـلأمـةَ الجـيـلِ
حسبي الغنـاءُ عـلى أفنـانِ دَوْحتِـه ... يَنـداحُ مـابـين تسبيـح وتهـليـلِ
أنتَ الإمـامُ الـذي حقت محجتُـهُ ... يؤوى إليهـا عـلى أنغـام تَـرتيـلِ
آثـرتَ مُـرتَضيـاً درب الأئِـمـةِ في ... هـدي وعـلم ، وأخـلاقٍ وتحصـيـلِ
وفي طَـواعـيَـةٍ قَـضَّـيـتَ مُـلتزمـاً ... فـما تجـاوزتَ في أدنى التَّـفـاصيـلِ
أورثتنـا كـبريـاء العـلم فـاشْتَعَلت ... بن وهـج علمـك آلاف الفَنـاديـلِ
رَنَـوتَ للشَّـرَفِ الأقصى .. ومـآلَعَت ... بـه المـدائنُ مِنَ وحـيٍ وتَنـزيـلِ
وقُفْتَ نفسـكَ دون الأبلجيـنَ فـدى ... الحب والصدقِ .. لم تأبـه لتهويـلِ
واستحفـزتَـك أحـاسيسٌ يُهَـدهِـدُهـا ... صـدقُ انتـماءٍ لهـذا الشَّعبِ مجبـولِ
فكم تـوجـستَ مـما كـان يـوسعُـهُ ... تخلفـاً .. من خُـرافـاتٍ وتَـدجيـلِ
في زَحمَـةٍ من أضـاليـلٍ .. تبـطنهـا ... زيـفٌ تَمَـرّس في تـلك الأضـاليـلِ
تـنكَّبـتـهـا جـهـالاتٌ مـغـلـسـةٌ ... ورَوَّجَـتـهـا أفـانـينُ الأحـابـيـلِ

وهيّأت كلّ ما استطاعت لبسطتها
فخضتَ معتركا قامتْ قيامتُه
كأن تداركنا الرحمن فيك : يدا
فزُلزلت صائلاتُ الجهل بل نُسفتْ
ورُحتَ تُوهبُ هذا النصر .. تنسبُه
أظهرتَ ماجدُك المكزونَ دُبّجهُ
تكشّفت دُرَرُ المكزون .. فانبهرت
وحلّقتْ رائعاتُ الشعر : نابضة
لطائفٌ للأمير الفذ .. سلسلها :
جلوتها .. فاستطالتْ : روعة ورؤى
أثمّ خاتمُ سحرٍ في يراعكُمُ؟؟ ..
بل : «إنه من سُليمانَ .. » وبسملةٌ
يارعة من ضواحي السّهل ، وارفة :
ضوئي لعينيك فيها خُصّ ضوءهما
تهتفُ دونك أنسامٌ لها وطرٌ
هذا الفضاءُ الذي من عطر غُرّتِه
ومن تمسكه بالمحكمات : وكم
وكم دعا للإحياء الحق في ثقة
وجاهر الدعوة الغراء : حالصة
فذي فضائلُه مزدانةً : حكمٌ
يُبهرُه الحقد والبغضاء .. حيث هما :
ومن تنقل في أبياتهن وعى
أيا حكيم تبدّى : مثل منتجع
وصلت في جانحيك الدرب ملتمسا
كادت تبيتُم أحلامٌ مدللةٌ
لكن أعدت بها الحلم حين زها
تمازجت حكمةٌ فيه وعلمنةٌ
عفوا أمير القوافي الغرّ .. إن فحمت
فذا شذاك - وهذا سر جرأتنا -
يارب - حمدك منذ البدء فاتحتي
فاقبل هدية أنفاسي مطهرة

على العقول .. وغارت غارة الفيل
وماعنوت لأفاكٍ وضليل
ترمي .. وترجُمُ .. كالطير الأبابيل
نسفا .. كعصف ذرّته الريحُ ، مأكول
للشعب .. ترقى به فوق المجاهيل
من أبدع اللفظ . في شرح وتحليل
بها العيونُ .. وكانت شبه مجهول
بكل معنىً ، لطيف الحسن مصقول
بدع بغازل بدعا غير مغزول
لولا النُّبوّةُ قلنا : وحيُ جبريل
أم طائرٌ حُمل النجوى لمحمول ؟ ..
حفت خُضرته : عنوان تبجيل
يكتال معتمر بالشمس ، مطلول
على المفازة : من ري وتكحيل
عند المقام .. لكي تحظى بتقبيل
تعطر الجيل .. واستهدى لسُهيل
من لبس وتأويل
يالنعمة دعوة للحب مبذول !..
إلى ولاء لآل البيت .. مشمول
أزجى بهن : حشودا من أساطيل
أس العداوة من بدء وتفصيل
صدى الوصايا لقرآن وإنجيل
في مهمه من جدب العمر ، مملول
هذا التواصل .. فلتسلم لتوصيل
واحلم - كالطفل - مشغوف بتدليل
ضميره في مقال منك مسؤول
فعج بالحجج المثلى لتأهيل
بنا الصوافن .. لا تذعن لتكبيل
في كل لفظ - ندى الحرف - معسول
وقل هوالله .. » في الإخلاص توسيلي
عن روح جدي .. دعاء غير مخذول

محمد عباس علي
اللاذقية ١٨ / ١٠ / ٩٩٠

الشيخ عبد الرحمن الخير

العلامة المصلح (١٣٢٢ - ١٤٠٦ هـ)

اسمه وقبيله :

هو الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد المعروف بالدرويش بن الشيخ ديب بن الشيخ سعيد بن الشيخ علي الملقب بالخير . . المنتهي نسبه الى الشيخ عيسى الاديب البانياسي - نسبة الى بانياس الشام - ابن السيد محمد النّاسخ البغدادي المشتهر بالخيّاط نسبة الى قبيلة الخيّاطين ، وهي قبيلة عربية اصيلة نزحت من العراق منذ حوالي القرن الرابع الهجري .

اما القبائل المجاورة للخيّاطين كالتميلاتيين ، والحدّاديين ، والرشاونة ، فهم يرجعون الى المحارزة - البشارغة، من اصل عربي صميم ينحدر من الفرع الهاشمي القرشي .

اما ام المترجم له فهي السيده (تمره) كريمة العلامة الشيخ محمد سلمان ، من قرية (المزارع) التابعة لقضاء جبله الادهمية ، ويتصل نسبها بالأسر المهاجرة من حلب الى جبل العلويين منذ عدة قرون .

ولادته ونشأته ودراسته :

ولد يوم الاربعاء في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٣٢٢ هـ في ارض (سعادات) من (حي علّوش) في موضع (القرّداحة) بجانب (جبلة الادهمية) التابع لمحافظة اللاذقية .

درس في صغره لدى الكتاتيب ، ثم على والده مبادىء اللغة العربية ، ومقدمات علوم القرآن الكريم وفقه اهل البيت ، ودخل (المدرسة الرشاديه) وكانت المدرسة الوحيدة في قريته يومذاك ، وبها تعلّم شيئاً من الحساب ، والتأريخ ، واللغة التركية ، ولما أُغلقت المدرسة بسبب الوباء الذي انتشر خلال الحرب العالمية الاولى ، هاجر الى (بانياس) والتحق بمدرسة (العنازة) وكانت من المعاهد العلمية التي تُعنى بفكر اهل البيت ، باشراف جمهرة من المشائخ الافاضل كالمرحوم العلاّمة الشيخ علي عبّاس[1] ، وبعد فترة وجيزة اندلعت الثورة السورية الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي ، فكان مشائخ الجبل الاشم وزعمائه ورجاله الابطال في طليعة المجاهدين في سبيل الوطن ، والمناضلين من اجل قضيته واستقلاله ، وشارك (الخير) فيمن شارك من ابناء سورية تحت راية البطل الخالد - الشيخ صالح العلي[2] - الذين ابلوا بلاءاً حسناً دفاعاً عن الحرية والكرامة .

ولما وضعت الحرب اوزارها تابع الشيخ الخير دراساته الدينية والادبية على العلامة الكبير الشيخ سليمان الاحمد ، وذلك في بيته بقرية (السلاطة) المجاورة (للقرداحة) ، وكان هذا الشيخ المقدّس نادرة

---

(١) الشيخ علي عباس من اهل قرية (بحوزي) التابعة لقضاء صافيتا ، كان هذا استاذ (الخير) في الفقه واللغة . وكان من اهل الورع والتقوى والعلم والصلاح . وللشاعر (بدويّ الجبل) قصيدة في رثائه . نظمها يوم كان مدرّسا في مدرسة (حلبكو) الدينية في جبلة. ومطلعها .

قمت فينا بنهضة ذات شان هي بدء لهذه النهضات

(٢) بعد هذا الشيخ المجاهد في جملة ادباء الجبل وكان شاعرا ومن شعره

هل الشرق إلاّ مشرق النور والسنا وروض البها المعطار والمربع الخصب
هل الشرق إلاّ جنة كان غرسها بها الحور والولدان والكوثر العذب
هل الشرق إلاّ النجم عزّاً ومنعة يطل على الدنيا وادراكه صعب
تراث الكماة اليعربيين لم يزل منيعاً فما تنوي على الشرق يا غرب ؟

وقوله

بني الشرق ان الغرب ينظر نحوكم بعين من البغضاء قد ملئت قذى
ايا امة الاسلام هبّي وجاهدي وكوني بعين الغرب يا امتي قذى
فان يك عن حق البلاد جهادنا فخير وان عن دين طه فحبذا

عصره وأوانه ، تفيض الحكمة من بين جوانبه ، وقد ربى تلامذة اجلاء على طريقته ، وحسن مسلكه ، ونقاء سريرته ، فاستلهموا من ثمرات افكاره وطفقوا يقتبسون من اشعة انواره . اما الشيخ محمد الفقير - من اهل كيليكيا (بتركيا) - فكانت حصيلة الخير من ملازمته له ان تعلم على يده اللغة الفرنسية وهذا ما ساعده على توسع ثقافته .

وظائفه الرسميّة ومجمل احواله :

عيّن (الخير) لاول مرة معلما في مدرسة (قرية الشيخ يونس) بـ (صافيتا) في بداية عام ١٩٢٤ .

وفي عام ١٩٢٥ اسس وجماعة من اصدقائه جمعية (اللاطائفية) وكانت جمعية اصلاحية لمكافحة التعصب العشائري ، والعزلة الاجتماعية ومعالجة حالات الجهل والفقر والحرمان التي خلفتها العهود البائدة من ظلم المتسلطين وتجاوزهم ووحشيتهم بحق ابناء الطائفة ، وانتجت الجمعية من عملها خلال سنين عدة ثمارا طيبة فيما كانت تهدف اليه من طموحات النهوض والرفعة .

وفي عام ١٩٢٧ عمل الخير في مدرسة الجامع الجديد باللاذقية ، وبعد سنة عُيّن مديرا لمدرسة (القرداحة) ، وفي هذا الاثناء اسس (المدرسة التهذيبية) واستقبلها ابناء الجبل بالترحاب وارخ سنة تأسيسها المرحوم الشيخ عبد الكريم محمد بقوله:

(برمّانةُ) شادت مشائخها على تقى (خير) (تهذيبة) للمطالع
مؤسسها للخير من (آل خير) وارخ (اجل فالعلم خير الصنائع)
١٣٤٧ هـ

وأرخها أيضا العلامة الشيخ عبد اللطيف ابراهيم بقوله :

لله اية تهذيبية شرعت وفي (برمّانة) الاخيار قد رفعت
الباذلين وراء المجد انفسهم والنازلين من العلياء ما امتنعت
استاذها (عابد الرحمن) اسسها بهمة غير محض الخير ما صنعت
فيها (برمّانة) طابت مغارسها ارختها (وجنى اثمارها ينعت)
١٣٤٧ هـ

ولما دأب المستعمرون والمتآمرون على محاربة الفكر وهدم معاهد العلم في هذا الديار ، فقد حاربوا (الشيخ الخير) محاربة شعواء، حتى اجبروه على اغلاقها عام ١٩٣٢ ، ولم يهدأ للخير بال فاستمر في رحلة الكفاح المضنية مع حياة التربية والتعليم متنقلا من مدرسة الى اخرى ، وعمل في العام المذكور في مدرسة (قرية خربة جزور - قضاء مصياف) ثم في مدرسة قرية (جوبة برغال) .

وفي عام ١٩٣٣ شعر الخيّر بحاجته الى الاستقرار فتزوّج في السنة المذكورة من زوجته الوحيدة (ام الغانم بالله) وهي من النساء الفضليات المؤمنات التي انجبت له اثنا عشر ولدا منهم اربعة ذكورا ، وثمانية اناثا .

ولما كان طريق التوعية والتنوير الذي اختطه الخير اصعب من ان يعيش معه حياة استقرار وهدوء فقد بقي طيلة حياته من بلد الى بلد ومن معهد الى معهد ، فعمل بعد زواجه في مدرسة (باب جنّه - قضاء الحفّة) فمدرسة قرية (برمانة المشائخ) ومنها الى (تجهيز اللاذقية) وبقي فيها حتى استقالته من التعليم اواخر سنة ١٩٤٣ .

واضطر تحت ضغط الظروف القاهرة ان يعمل كاتبا في مديرية ادارة حصر التبغ والتنباك باللاذقية ، وان يتابع في نفس الوقت دروسه العلمية لطلبته ومريديه بعد العمل الرسمي وقد فضّل العمل والعيش من كدّ يده ، مع انه ان بمقدوره مجاملة الحكام الذين يثمنون قربه وربما كانوا السبب المباشر لمضايقته واضطراره الى الاستقالة من التعليم فارادوا منه أنْ يكون اتيّ شيء إلاّ معلما يغذي ابناء الجيل الاشم بالفكر والتوعية الوطنية والدينية التي يخافها المتسلطون خوف الافاعي ، وبهذا ترى ان هذا الشيخ قد اثر الباقية على الفانية فلم يستهوه الطمع ولا حبّ الدنيا ولا زينت له الشهوات ، انما حارب ذلك بما اوتي من قوّة وبلغ من الاباء والجراة في الحق ما رفعه الى مقام الزاهدين المتقشفين ، وسما به الى اعلى عليين .

رحلته الى دمشق ونشاطه بها حتى وفاته :

ولما توسّع نشاط الشيخ من خلال اشرافه على بناء المساجد والحسينيات ومحاضراته اليومية وتاسيسه للجمعية الخيرية الاسلامية الجعفرية في اللاذقية سنة ١٩٥٠ ، ضاقت السلطات به ذرْعا فاعتقلته واضطرته لمغادرة (الجبل العتيد) الذي احتضنه طفلاً ويافعاً وشاباً مجاهداً مكافحاً لرفعة شأنه وعزة ابنائه ، فانتقل الى دمشق الشام بعدما صودرت اوراقه وكتبه وخلّف ذلك في نفسه حسرة حرّى ، لن تهدأ ، ودمعة عبرى لن ترقأ .

وفي دمشق رجع الى عمله في ادارة حصر التبغ والتنباك في ١٩٥٦/١١/١٧ وبقي فيه حتى بلوغه السن القانوني في ١٩٦٣/٧/١ ، وتفرغ بعدها للاهتمام بكتبه ومكتبته ومطالعاته وتوثيق صلاته بالعلماء والادباء داخل الوطن وخارجه ، وفي عام ١٩٦٥ وفق الى حج بيت الله الحرام وعمل خلال الفترة (١٩٦٥ - ١٩٦٧) في كتابة والقاء المحاضرات الدينية من اذاعة دمشق ، وقد طبعت هذه المحاضرات فيما بعد تحت عنوان (من نداء الايمان) .

وفي عام ١٩٦٩ وقف نفسه للاشراف على بناء جامع وحسينية الامام علي بن ابي طالب عليه السلام في حي الامين بدمشق ، وفي عام ١٩٧١ قصد الحجاز لاداء مناسك الحج للمرة الاخيرة ، وكان خلالها رسول - الجبل - وصوته المؤمن الى كل المسلمين في العالم ، ولا ريب فالخيّر من حسنات هذا الطود الشامخ الذي احتضن فكر اهل البيت ، ومن ابنائه البررة والمخلصين وطوال ثلاثين عاما من اقامته بدمشق عمل (الخير) على توعية الامة وتهذيب ابنائها وبقي مخلصا لمبادئه وعروبته ، مواصلا لنشاطه الخيري الاجتماعي ، ولكفاحه الفكري من رشحات قلمه الذي ما برح نبراس حق ومقباس هداية ، وان انس فلا انس الجلسات اليومية في بيته بركن الدين ، التي كانت تتحول الى ندوات فكرية يحضرها باستمرار رجالات العلم والادب من العرب والمستشرقين وكان (الخيّر) المجلّي في ميادينها والسبّاق في حلباتها ، وبقي هكذا دائم النشاط والفعالية الى ان اختاره الله الى جواره ، ووافاه القدر المحتوم اثر مرض مفاجيء صباح الاربعاء ١٩٨٦/٦/١٨ الموافق للحادي عشر من شوال سنة ١٤٠٦ هـ ، وشيّع جثمانه الطاهر من مشفى الشامي بدمشق عصر اليوم المذكور ، ووُري الثرى في مقبرة السيدة زينب (ع) حسب وصيته الخاصة ، وبوفاته خسر العالم الاسلامي احد علمائه المصلحين ودعاته المخلصين للوحدة الاسلامية ، رحمه الله رحمة واسعة

آثاره :

١ - العقد النظيم من مدائح وتأبين الشيخ صالح ناصر الحكيم (جمع وتعليق ونشر) دمشق ١٩٦٤ .

ضم هذا الكتاب نخبة من الشعر والادب الرائق ، وهو شاهد العصر على ما يتمتع به ابناء الساحل السوري من القرائح الوقادة ، وسعة المدارك العلمية ، وهو ثروة فكرية تدل على مكانة الادب في نفوسهم ، وكثرة شغفهم به وتعلقهم فيه ، واضاف به الشيخ الخير صفحات جديدة من الادب العربي انتزعها من مطاوي النسيان وسدّ بها فراغاً في المكتبة العربية ، واعطى برهاناً آخر على مصداقيته ووطنيته ، وذلك عين ما عناه اديب جبل عامل الشيخ سليمان ظاهر بقوله :

جزى (ابن الخير) الرحمن خيرا ... بضمّ شتات ذا (العقد النظيم)
لقد ارضى به الوطن المفدّى ... وخيماً للعروبة خير خيم[1]
رعى لرجال موطنه عهوداً ... وما عهد لديه بالذميم
فلا برحت خطاه مسددات ... ولم تخطىء صُوى[2] النهج القويم

٢ - تحفة المؤمن في فضل يوم الجمعة . وبعض الاشهر ، دمشق ١٩٦٦ .

٣ - نقد تاريخ العلويين لمحمد امين الضناوي ، طبع في مقدمة الكتاب المذكور بيروت ، دار الاندلس ١٩٦٦ .

٤ - قصة التقريب - ابحاث دينية ، دمشق ١٩٦٩ .

٥ - قضاء امير المؤمنين للشيخ حسين الشامي - شرح وتعليق ، دمشق ١٩٦٢ .

٦ - العلويون شيعة اهل البيت ، طبع بالعربية ، وترجم فيما بعد للفارسية ، والاوردية ، وصدرت منه طبعات عديدة .

٧ - من نداء الايمان ، محاضرات دينية اذيعت من دمشق بين عامي (٦٥ -١٩٦٧) ، طبع غير مرّة .

٨ - للحقيقة والتاريخ - في نقد سعد جمعة ، بيروت ١٩٧١ .

٩ - الصلاة والصيام وفق المذهب الجعفري ، طبع خمس مرّات .

١٠ - الغلو في الادب العربي او الاوراق الممزّقة ، نشر متسلسلا في مجلة الاماني باللاذقية لصاحبها المحامي ابراهيم عثمان سنة ١٩٣٠ .

١١ - يقظة المسلمين العلويين ، مقالات متسلسلة نشرت في مجلة النهضة بطرطوس لصاحبها الدكتور وجيه محي الدين .

١٢ - التوجيه الديني ، مجموعة مقالات نشرت في جريدتي الارشاد ، واللاذقية لصاحبها الحكيم والحداد ، ومجلة التمدن الاسلامي بدمشق (كتبها بين عام ١٩٤٥ - ١٩٤٨)

١٣ - مجموعة مقالات واراء - نشرت في مجلة القيثارة الصادرة باللاذقية بين عام (٤٦ - ١٩٤٧) .

١٤ - في سبيل تثقيف المرأة - محاضرة القاها في نادي الشباب المثقف باللاذقية .

١٥ - نظرة في العالم العربي - محاضرة القاها في نادي الشباب المثقف باللاذقية .

---

(١) الخيم الطبيعة والسجية .

(٢) الصوى جمع الصوة . وهي حجرينصب في الطريق للدلالة وجمع الجمع اصواء .

١٦ ـ نقد المستشرق الالماني شتروتمان ـ نشر في مجلة كل شيء البيروتية سنة ١٩٥٩ . وكان هذا المستشرق قد كتب عن العلويين فأساء فهمهم وأتى بأخطاء فاحشة فتصدى الشيخ لردّه وأتى بالبينات لتوضيح ما اشكل على المستشرق المذكور .

١٧ ـ المختصر الجامع في أصول الدين وفروعه - للشيخ عبد اللطيف الخيّر والشيخ محمد صالح الزللو - اختصره ونشره بدمشق ١٩٥٢ .

١٨ - تعريف العلويين ، ترجمه الى اللغة الفارسية ، ونشر في جريدة (وطنمت) بطهران - ايران سنة ١٩٥٨ .

١٩ - ابحاث متنوّعة ، نشرت في عدد من الصحف والمجلات ، ومنها : المجلة العسكرية - السورية - سنة ١٩٦٠ ، ومجلة النبع الدمشقية (١٩٥٨ - ١٩٦٣) والتي ساهم في تحريرها ايضا ، ومجلة رسالة الاسلام بالقاهرة سنة ١٩٥٩ ، وجريدة الجيل الجديد السورية سنة ١٩٥٢ .

٢٠ - موقف الدين الاسلامي من الاجهاض والتعقيم، بحث قدّمه الى المؤتمر الاسلامي العالمي لتنظيم الوالدية المنعقد في الرباط بالمغرب نشر بدمشق ١٩٨٥ .

٢١ - عقيدة العلويين وواقعهم مخطوط .

٢٢ - ملخص العقيدة العلوية مخطوط .

٢٣ - التربية ام الوراثة: ايهما اعمق اثرا في تكوين الفرد والمجتمع - مخطوط .

٢٤ - تهذيب العربية - مختصر في قواعد اللغة العربية - مخطوط .

٢٥ - رسائل بين اديبين - الخير والعزب - مخطوط .

٢٦ - من اب الى ابنه - رسائل مخطوطة .

٢٧ - ساعات مع الكتب والرجال - مخطوط .

٢٨ ـ من الطلائع ـ موسوعة ضخمة وهي من اهم كتبه ان لم تكن اهمها على الاطلاق تتناول دراسة آثار رجال العلويين الافذاذ من ابطال العلم والادب والشعر والفضيلة من القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين لم يسبقه الى عمله احد ، عمل في سبيل جمعه اكثر من خمسين عاما فضاها يسأل عن اصحاب التراجم واهلها من قرية الى قرية حتى استطاع ان يتوفر له مجموعها وقد رأيتها وهي مجاميع ضخمة متفرقة لم يخرج منها شيء الى المبيضة ، ترجم فيها لحوالي مائة من الاعلام وذكر نماذج من ادبهم وشعرهم وتتفاوت التراجم في حجمها ، فبعض الاعلام تبلغ ترجمتهم اكثر من مائتي صفحة ، بينما تبلغ ترجمة البعض الاخر وريقات معدودة ومن بين الاعلام الذين ترجم لهم :

الشيخ سليمان الاحمد ، والشيخ ابراهيم عبد اللطيف مرهج ، والشيخ يعقوب الحسن ، والشيخ عبد الكريم سعيد الخاج ، والشيخ محمد ياسين اليونس ، والشيخ عبد الكريم محمد ، والشيخ يونس حسن رمضان ، والمجاهد الشيخ صالح علي سلمان ، والشيخ علي صالح مبهوب ، والشيخ عبد الكريم الخير، والشيخ عبد اللطيف سعود ، والشيخ حسن حيدر ، والشيخ علي احمد سعيد ، والشيخ ديب علي سلمان ، والشيخ احمد حبيب سلمان ، والشيخ عيسى سعيد الجنيدي ، والشيخ محسن حرفوش ، والشيخ حسن مبهوب حرفوش ، والشيخ حمدان الخير ، والشيخ يوسف يعقوب الحسن ، وغيرهم .

٢٩ - هذه عقيدتنا - كتبه ردا على سؤال ورد من الدكتور شاكر مصطفى بشأن العلويين وعقائدهم .

٣٠ - مراسلات الخير : اطلعني رحمه الله على مجاميع عديدة من رسائله واجوبتها الى الكثير من الاعلام ، وتتضمن معلومات علمية وادبية غنية ، وكان شديد العناية بتبويبها وحفظها وفهرستها ، والاستشهاد بها ان اقتضت الضرورة ، وتتصدر بعض الرسائل مقطوعات شعرية تدخل في ركن

الاخوانيات ، وهذا المجال مما يدخل في صميم مزاج (الخير) ، اذ كان رحمه الله كثيرالانس بأهل الادب والدين ، حسن المعاشرة ، حريص على صداقاته ، ومن بين هذه المقطوعات ما كتبه اليه السيد عبد الوهاب الصافي النجفي :

يا ايها (الخير) انت الذي ... مثل في اعماله الطهرا
لا غرو فالالقاب وحي السما ... قالت بذا آثارنا الغرّا
قد طال عهدُ الهجر ما بيننا ... فهل ترانا نلتقي اخرى
اني لمشتاق الى ساعةٍ ... ألقاك فيها تعدل العمرا

وكتب له الشيخ عبد اللطيف ابراهيم :

كل يوم وكل شهر وعام ... لا نزل بالسرور والانعام
يا سليل الاخيار دمت بخير ... والمحبون من اولي الارحام
يا نصير الاسلام في الشرق والغـ ... ـرب ، في كل مجلس ، ومقام
ورفيقي فتىً ، وكهلاً ، وشيخاً ، ... وعلى الحوض مع موالي الامام

واخيرا وقعت بيدي هذه القصيدة للعلامة الشيخ محمد جواد الدجيلي النجفي وقد اهداها للمرحوم الشيخ الخير :

بوركت من شيخ بجلّق اصيد ... راهي المقام لمنشيء ولمنشد
سكُب الطبيعة لين فكأنه ... ينضب من نبع جزيل مُرفد
أنق الأداء فمن ندىً نجتبي ... صفو البيان ومن غدي نجتدي
وكأنما الألفاظ منه صحفت ... في مائج أو رُنقت في عسجد
اهدى لي الاسفار وهي قلائلٌ ... رُفعت على جيد الزمان الأجيد
شيخ سريٌ في دمشق وناسج ... غرر المعاني في مفاتن ابجد
يبني عمارات الخلود بأحرف ... مرصوفة في سُير أو شرّد
ويشعّ في طرق البيان بنانه ... بمشعشع منها وفي متوقد
واذا تأملت الخطوط عجبت من ... جفن على عمد الخطوط مهّد
وعجبت من بُعدٍ يجاذبني ومن ... قصدٍ يمازجني وان لم اقصد
فلقد أخذت له بأخاذ الهوى ... سعياً وراء تزوّدٍ وتصيّد
ولكم وقفتُ على صحائف معشرٍ ... وكأنني في مهمهٍ أو فدفد
ومنظّرٍ منها وغير منظّرٍ ... ومفندٍ منها وغير مفند

★ ★ ★

بوركت من شيخ اتيتُ فنانه ... يوماً فباركني وعزّز مقعدي
ولكم تعثرت الخطى مرتدة ... عن منزل رحب وباب موصد
وفي الزيارة واستطال بظلّه ... وأناف لم يقصر ولم يتردد
يا من بمنزله حباني سؤدداً ... منه وبواني مكان السيد
في مجلس جم المناقب مخصب ... وبمحفل جم المعارف مخصد
يا من على قمم الروابي مهده ... وكأنه في المجد صنوُ الفرقد
الصفوة الأعلون في أبياتهم ... عظمت مناسبة باعظم محتد
الخيّر بن الخيرين يشدهم ... دينٌ وتجمعهم نؤابة أحمد (ص)
اخذ المبادىء في الشواهق صاعداً ... في المدرج النائي الطويل الأبعد

من موكب الأيام موكبه ومن ... منفرد فيها ومن متعدد
ما أنفك يعطينا الجديد بزخرة ... وخلائق وسجاحة وتجدد

★ ★ ★

يا شيخ انشأت المعالي في يد ... واخذت ناشئة العوالم في يد
ونزلت من تلك الهضاب فوطئت ... سوحٌ وقيل (يا ارض اصمد)
ماجت دمشقُ واهلها وتفتحت ... اكمام ورد للقاء مورّد
خمسون عاماً في الزحام ولم تزل ... في موقف البطل القوي الأيد

★ ★ ★

يا شيخ ارسلت القوافي حرة ... في مطلق صدق وفي متقيّد
عمدت اليك تلج في احيائها ... وأنا الضنين بوحيها لم اعمد

بسم الله الرحمن الرحيم

ابنه الأخ الحبيب الشاب النجيب المجاهد الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي حفظه الله تعالى ورعاه.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وصلتني ـ وصلك الله بعونه المؤنس ـ رسالتك (عن طريق بومبي الهند) المؤرخة في ٨٢/٥/١٢ فطالعت سطورها بلهفة شائقة لتتعرف أخبارك السارة واستعدت مذكرات لقاءاتنا في دمشق.

لم يغب عنا ذكرك في مشقائنا بأبوظبي بل نعقد ذلك في مجالسنا الأنس لنا في بيوت الله مع اخوانك الوافدة في تخلف الدعوات التي استمتعنا بزيارة رموزك الرائعة وبأحاديث الشائقة حول أوضاعنا الداخلية والعالمية حيث هلمنا. وبالطبع لا تخلو المحاورات من تحسر على ما آل إليه أحوال أمتنا من تخلف الشباب المجاهد في سبيل الله لتقريب القلوب حول الدعوة الجامعة المعزة لكلمة الله دائما موضع اجماع الرأي لدى المخلصين الصفوة الذين يحملون همها ويسهرون لله همها. والله يحفظكم ويرعاكم.

ولم يحل دون مكاتبتي اليك إلا عدم معرفتي عنوانك الحالي لكنه لقاء القلوب فاستمر مرحوماً. وقفال الله. أما وقد بقيت بين اخوانك كرام رحاحة تسهم بعد الغائب فأقول فيه على الله وذلك عنوانه طيب الأخلاق التي تتحلى بها (وكل وعاء بالذي فيه ينضح) كما ورد في الأمثال العربية المعبرة عن واقع التجارب ومعرفة الطباع.

ابنه الأخ الحبيب الدكتور طالب عمران اعتبه على لقائكم وأدل بلاغه تحياتي وعواطفي الصادقة لكما معاً وتشجيعي كلاً منكما على استمرار اللقاءات وتعميقها أواصر المودة في الله بينكما وجعل اللقاء في مدرسة للتزود بزاد من التخطيط للعمل الدعوي على انفاذ ما يمكنه انفاذه من أجل جماهير المسلمين عامة المؤمنين الذين أذكرهم التباعد والتراسل بالافتراءات وتعميم ما يصدر من بعض الجريدة على جميع العالمين الذين يرابطون. وهذا هو أفضل أغراضنا الاجتماعية المعوقة عن العزة التي سخر الله المؤمنين بمطلق اشعارهم في قوله تعالى: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» ومع ذلك تقوم الدنيا وتضعضعوا ثم ذلوا في غفر ديارهم بعد عزهم في اجتماعهم.

تحياتي لكم أبلغت لاخوانكم الذين ذكرتم ولمن حضر منهم لم تذكروهم ولهم جميعاً بتحيتكم أطيب تحيته ويدعون لكم. صحتي بحمد الله تعالى وتوفيقه مناسبة لسني الثمانين (وبالمقترح) أنتن موفور الكرامة والعافية والقدرة على الانتاج النافع دعوا ابشاركم الله.

الثناء منبادله بالنصر المؤزر للمؤمنين على الفاسقين والمنافقين. ونسأله تعالى لهم النصر الى نصر لينصر المؤمنون وتفرغ عيونهم بتحقيق الوعد المحتوم. والسلام عليكم بدءاً وختاماً.

الأخ المحب

دمشق ٨٢/٥/٢٨

(رسالة من الشيخ الخير الى صاحب الموسم)

حب الوصي

○ الشيخ محمود الصالح الزلو
(بانياس ـ سورية)

دمن تبوأ ساحها الإعدام وعفت نضارة عيشها الأيامُ
بالأمس كانت للظباء مراتعاً وبها لربّات الخدور مقامُ
من كل صائدة القلوب كأنها بدر تجلى للعيون تمامُ
ترمي فتصمي مهجة الرائي كأن لحاظها بيد القضاء سهامُ
من ريقها المعسول خمرة بابل وسنى الهداية ثغرها البسّامُ
بسمت فحيّا الروض أنواء الندى وتفتقت عن نورها الأكمامُ
تحيي ابتسامتها ويردي لحظها عجباً هي الإحياء وهي السّامُ
ظبيات أنسٍ كنّ في تلك الربى شهباً اليهن انتمى بهرامُ
واليوم قد أخنى على الدمن العفاء وغادرت جنّاتها الآرامُ
يا للّيالي الزهر أبدلها البلى بصفائها رنقاً وغيض الجامُ
بل يا لأطلال المفاخر قوّضت أركان عرش فخارها الأعوامُ
عفت الرياض ونورها وقطيفها ومضى الجميع كأنهم أحلامُ

* * *

يا طالباً عرض الحياة الى مَ في بيد المُنى تجتالك الأوهامُ
لا تغترر بنعيم عيش خادع عقباه بؤس نازل وحطامُ
العيش في الدنيا تعلة آملٍ أو خدع آلٍ أو رؤى ومنامُ

من جرّب الدنيا استهان بها فما فيها لحالٍ ما تطول دوامُ
تحكي الحياة بها رواية مسرح غادٍ على ساح الفناء تقامُ
إما اختفى فصل تبدّى آخر تتبدل الهيئات والأهدامُ

* * *

يا ذا البصيرة ثب لرشدك واطرح دنيا هواها ضلّة وأثامُ
وتزود التقوى ليوم لم يعد فيه امرءاً مالٌ ولا أرحامُ
وافرغ الى حبّ الوصي فحبّهُ منجىً لمعتنقيه واستعصامُ
الفوز مضمونٌ غداً لوليه وعدوُّهُ سوءَ العذاب يُسامُ
هو يوم يحشر للحساب بنو الورى ما بين عدنٍ واللظى قسّامُ
وإذا الحساب عليه هل من ريبة في أن من والاه ليس يضامُ
والله ما فاز امرؤٌ عاداه لو أضحى له فوق السّحاب مقامُ
هو من أتت تثني عليه «هل أتى» وبه استطال الشرع والاسلامُ
وتوضّحت بعلومه سنن الهدى وبه القضاء ازدان والأحكامُ
وبهديه وبسيفه الدينُ الحنيفُ علتْ له في العالم الأعلامُ
هو من له يوم الغدير المصطفى أوصى وصاة ما بها ابهامُ
من كنت مولاه فمولاه عليٌّ وهوذا للمتقين امامُ
مولىً به استعلى العلاء وفي يديه لكل معضلة تعز زمامُ
تعنو الوجوه لفيض نور علومه ولسيفه البتّار تحنو الهامُ
مولىً عليه الشرع ألقى كلّهُ بعد النبي فحكمُه إلهامُ
أقضى بني الاسلام أعلمهم بذا شهد النبي وحدّث العُلّامُ
مولىً تسامت ذاته عن أن تحيط عُلىً بسابر وصفها الأفهامُ
المجدُ صنع يديه والعليا له أمةٌ ومستعلى السّناء غلامُ
شقَّ الهلال عشيةً والمشركون لهم قعودٌ حولهُ وقيامُ
والشمس قد رجعت اليه بنورها من بعد ما نسخ النهار ظلامُ
وكذاك ردّت في البقيع سلامَهُ شهد الأحبّة ذاك والأخصامُ
محيي الرفات ومخرج الأحياء مَن هو في الغيوب وسرّها علّامُ
قدرٌ أتى فيها الامام المرتضى لا العرب تنكرها ولا الأعجامُ
كم حاول الظُّلام محو كيانها بغياً فدامت وامّحى الظلامُ
لا يستطيع وإن تكاثف ضحوةً ان يسلب الشمس الضياء غمامُ
ماذا أقول بوصفه وهو الذي وقفت حيارى وصفه النظامُ
ترك الصفاتِ صفاتهُ اذ انهُ بدءٌ لكل فضيلةٍ وختامُ

* * *

عفواً أمير المؤمنين فأين لي ... بمديح من حارت به الأحلامُ
لكنه صدق الولاء أصوغه ... درراً تولت نظمها الأقلامُ
فإذا هفوتُ فأنت أكرم من عفا ... وإذا أجدت فمنك لي استلهامُ

* * *

يا خير من نزل العفاة بساحهِ ... وأجلّ من تسعى له الأقدامُ
يا كاشف الكرباتِ وهي شديدةٌ ... يا غافر الآثامِ وهي عظامُ
هذا مقام من استجار بمنعمٍ ... ما انتاب قاصد فضلهِ إعدامُ
بك أستجير من الذنوب كبيرة ... ومن البلايا والخطوبُ جسامُ
وببيتك المعمور لذتُ ومن يلذ ... بحماكَ صار له لديك ذمامُ
أأخاف آثامي وحبّك شافعي ... والفضل يرجى منك والإنعامُ
فامنن وجد وارحم وصل وتولني ... ما ضرّ مولى المرتضى الأثامُ
لي ذمةٌ صدق الولاء وأنت أوفى ... بالذمام ولي رضاك مرامُ

الشاعر:

فضيلة العلامة الشيخ محمود الصالح الزلّو من مدينة بانياس ولد سنة ١٩١٢ في قرية الزلّو ، ودرس لدى الكتاتيب أولاً ثم أخذ العلوم الدينية والعربية على يد والده والشيخ سليمان الأحمد والشيخ علي عباس سلمان والشيخ عبد الخير والشيخ يعقوب الحسن .

مؤلفاته : ١ ـ نزهة الأفكار في روضي الأحاديث والأخبار توأيته عنده في مجلدين ضخمين وهو من أنفع الكتب صرف في تأليفه سنين طويلة وما يزال مخطوطاً . ٢ ـ النبأ اليقين عن العلويين ، طبع غير مرّة . ٣ ـ المختصر الجامع ـ مخطوط ـ . ٤ ـ مجموعة خطب وعظات ـ مخطوط ـ . ٥ ـ ديوان شعر ـ مخطوط ـ . ومن بين أعماله الكثيرة بناء مسجد الإمام الصادق عليه السلام وفي ذلك يقول :

بنيتُ على اسم الله للذكر مسجداً ... شعار مريديه ادخلوا الباب سجدا
قواعده التقوى ونافست العلى ... منارته في نشرها النور والهدى
يُسبّح فيه بالأصائل والغدى ... رجالٌ توخّوا طاعة الله مقصدا
وأنشأت لي في قربه قبةً بها ... أوسّدُ إذ حادي المنية بي حدا
وجلتُ باسم الصادق الوعد مسجدي ... وفي حبّه كرّمتُ ما شدتُ مشهدا
وفي ذمة التاريخ أودعت جامعي ... وهيأته للحب بالله مقصدا

وعلى ذكر القبة التي عمّرها فقد أنشد زميله الأستاذ الشيخ حمدان الخير هذه الأبيات في ذكر الشيخ محمود الصالح وقبته :

قبةٌ تشرق المآثر منها ... مثل اشراقة الصباح المنير
طُهرُ محمود صالح شاع منها ... وكساها أغلى بسرود الطهور
أدبٌ رائعٌ وفكرٌ خصيبٌ ... كلّ درٍ من درّه المنثور
كاتبٌ ما أدقه وخطيبٌ ... لا يُجارى وسيّد التفسير
في سبيل الى الهداية تجديدٌ ... وبحث هادٍ لكل العصور
قبةٌ والسخاءُ والحلمُ ... واليُمن معانٍ من ذكرها المبرور
حيّ تأريخها بعلم ونورٍ ... انها فيه قبةٌ من نور

هند هارون
شاعرة
الألم والايمان

شاعرة عربية من سورية ، من مدينة اللاذقية . تجربتها الشعرية غنية وحياتها رحلة عذاب .

سُئِلَتْ مرة : أن تكوني شاعرة ، ماذا يعني هذا بالنسبة لك ؟

فأجابت :

ـ هل سَبحتَ في بحار نورانية . . هل غُصْتَ على اللآلىء في محارها . . هل سافَرْتَ نجمةً بعيدة يلامس شعاعها رقيف قلبك ، وسرحتَ مع عظمة الخالق المتجلية في خضرة المروج ، في قطر الندى على الرياحين ، والثلوج على الذُرى في دمعة تبرقُ في عين الطفولة . . هل شَفَّتْ روحُكَ حتى الوجد الإلهي . . وسَطَّرَتْ دموعُكَ حروفاً تتوهَّجُ على الورق ؟

هل سَعِدْتَ بأحزانكَ وشقيتَ بأفراحكَ . . ثم تجاوزتَ حدودَ الفرح والحزن الى مدار حُبٍّ أكبرَ منهما معاً . .

هل كتبتَ في حالة الشعور واللاشعور . . لا لِتُقرأ أو يقال عنك شاعر مبدع . . بل لتحوّل طاقات انفعالكَ الى كلمات . .

إذا كنتَ هذا . . أو بعضاً منه . . فأنت الشاعر . . !!

تقول هند هارون ملخصة مراحل حياتها وتجربتها الشعرية :

وُلِدتُ في اللاذقية ، احدى مدن القطر العربي السوري ، في الثلاثينات من أسرة مناضلة ، قاومت الاحتلال الفرنسي ، حيث تعرَّض عمي ، الشيخ مُنَعْ هارون للحكم بالاعدام، وهو أديبٌ وشاعر ، وبعض أقاربي للنفي أو الاعتقال ، كما صودرت أملاك والدي ، نديم هارون ، من قبل المستعمر .

كان الموت أول مؤثر طبع في مخيلتي ، حيث حملوني طفلة في السابعة لأودّع أبي المدرج بالأكفان . كانت ظاهرة الموت صدمة أفقدتني الوعي ، حيث أُصبتُ بالإغماء ، وتركت في نفسي رهبة الموت ، وقد ظهر ذلك جلياً في قصيدتي حوار الجراح .

وتتالت الأحداث . . كنتُ في المدرسة طالبة متمردة على الإدارة الفرنسية ، أحرّض على الاضراب ضد الاحتلال ، وأُفصَلُ أحياناً . . وأُعاقَب .

في هذا الجو بدأتُ أقرضُ الشعر ، وأسجل تلك المشاعر وأذكر أنني كَتبتُ قصيدة عنوانها «وطني» رَفَضَتْ الأنظمة العربية نشرها آنذاك .

كما نظمتُ قصائد الحب الصغيرة ، أسميتها «الموءودات» ولكنني ألمسُ فيها اليوم مشاعر مخيّلة ، بريئة ، محببة .

كنتُ أقرأُ كلَّ ما يقع تحت يدي من كتب عربية وفرنسية . . تأثّرت بالتراثِ الاسلامي العربي ، مما أغنى ذخيرتي اللغوية . ولكن المصدر الأجلّ والأعظم ، كان القرآن الكريم ، ومحاولتي فهم ما تحمله آياته البيّنات .

أما الأمومة ، فلها حديث خاص ، وانعطاف انساني ، يمثّل صور الحياة بمعانيها الأسمى والأبقى .

الأرض والانسان سرّ الوجود ، تأملات كبُرتْ في ضميري بعد موت ولدي الوحيد «عمّار» وهو في الربيع السابع عشر ، لأشعرَ اننا في هذا العالم اللامتناهي ذرّة صغيرة ، على خارطة الانسانية ، وأنّ رحلتنا تبدأ حيث نظن أننا انتهينا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وتتابع الشاعرة الأم :

توصلتُ الى هذه القناعة بعد رحلة طويلة من عذابات الأيام وجزع الكبد ، وحزن الشموس .

وقبل الحديث عن ثكل الأمومة ، أقف حائرة أمام حقيقة الحقائق وقفةَ الصوفيّ المتجهّد ، وقفة خشوع حتى الوجل . بل وَجَلٍ حتى الأمان ، وأمانٍ يطمئن النفوس الحائرة . . حيث يصعد الروح من عتمة الليل الى شموس لا تغيب . . حيث ينسى المتهجّد ذاته ، ذائباً في الله من شفيف الوجدان . . مبحراً الى خالقه ، أشرعته الإيمان المدرك ، والادراك المؤمن ، محاولاً غاية الفهم ، ليكون في وصل دائم مع الأبجدية الكونية ، يحيي صلاة القلب ، في رحاب الاسلام بنفس تقية . وينقي روحه الظمأى للمعرفة .

لا أدري لم جذبني الحديث الى عمق الروح ، لا إلى تسلسل مراحل حياتي .

فأنا في الحقيقة ، أعيشُ بساطة التعبير ، ولستُ في مراتب الصوفية . . أسميتُ نفسي «طفلة الآلام» حيث الرضى بالمقدّر ، وشمولية الإحساس ، والاندماج مع قهر المعذّبين . . والتفكر بعظمة الخالق ، بالمُطْلَق . .

كل هذا جعلني أكثر عمقاً في كتاباتي ومنها : «حكاية الأرض والانسان» ، «وهج البردة» ، «من وحي الأضواء» .

وتعود بي الذاكرة الى الماضي ، فأرى نفسي طفلة أقسمت أن تحيي علم بلدها مرفوعاً فوق دار الحكومة . . وأرى نفسي أنظر الى العلم بألوانه الأربع هاتفة :

«عش هكذا في عُلْوّ أيها العلمُ . . . الخ .

فينهض معي الناس ، في يوم عيد الفطر ، ويعود أبي الى البيت ليتحدث عن طفلة هزت المشاعر . . دون أن يدري انها ابنته . وأشعرُ ، آنذاك بالخوف . . ثم الفرح لاحتضان الوالد المعتز بطفلته فيكلي الصغير ولعلها آخر صورة له قبيل وفاته .

قلتُ : إنَّ أسرتي عانت من الاستعمار الفرنسي بعد مصادرة أملاكنا ، فعشنا في ضائقة مادية ، وكبرياء معنوي ، فكتبت الشعر القومي ، وتحدثت عن قضايا الوطن العربي ، وتغنيت بالوحدة العربية .

وقد فرضت الأحداث نفسها عليّ كشاعرة تحسُّ أنها ذرة من تراب بلادها . . فتفاعلتُ مع الأحداث الذاتية والقومية ، حيث تحاك المؤامرات ضد العروبة والاسلام . . معتمدة على أداة اسمها الصهيونية العالمية ، وذلك لتمزيق وحدة العرب والمسلمين ، فكتبت قصائد كثيرة منها : «نداء الأرض» ، «الشهيد» ، «نداء الحرية» ، «خيمة لاجيء» . . . الخ .

عملاً بسنّة الكون : تزوجتُ المهندس المؤمن الشاب أحمد رفيق قريعة ، حيث اكتنف أسرتنا الصغيرة الاستقرار . . وتوّجت هناءتنا عندما رزقنا بعمّار . . وصرْتُ أُمّاً . . !!

ولكن أي أم . .

ما كدتُ أنعم بالوحيد . . حتى فاجأه المرضُ وهو في الرابعة من عمره . . وبدأت رحلة العذاب مع عمار : عمار البسمة والدمعة . . عمار الشروق الذي تحوّل الى شروق أبدي . . عند البارىء . . وألمأ منسكباً في الشرايين بالكلمات

عمّار التجربة المتفردة التي عشتها ، فجرت من كل ذرة في كياني ، من كل نبضة ، من كل نسمة تَنَسَمْتُها رئتاي . . من كل رعشة خوف على الوحيد . . فجرّت شعرَ الأمومة عذابات أُم ، ترى وحيدها يتأرجحُ بين الحياة والموت ، فتموت وتحيا كل يوم مراراً . .

وبعدها ، يمضي عمار تاركاً خلفَهُ أُمّاً أذهلها المصاب . . من كل هذا تفجر شعرُ الأمومة ، أناشيد قلب مجروح ، ولوحات متفردة ، ربما كانت الاضافة الكيفية على ساحة الشعر العربي .

وهكذا لقبتُ بشاعرة الأمومة ، وأحياناً بخنساء اللاذقية . وهنا أعترف ان الخنساء شاعرة الرثاء ، ربما دون منازع . . وقدمت أبناءها الأربع شهداء في سبيل الله . . فيا لبشراها . . ولكنها ، لم تمر بعذابات الأمومة . . لم تزر دم وحيدها يتحلل ليصُبَّ في عروقه دم الآخرين .

كتبت قبل رحيل عمار قصائد منها : وصية أم . . يا أم يا عذراء . . يا وحيدي . . الى ولدي . . . الخ .

وبعد الرحيل . . صدر ديوان عمار ، بغلافه الأسود ، وعين تملأ البحرَ دموعاً . . وقلب يتفجر بين الضلوع .

قدّم له الدكتور أسعد علي برسالة حميمة الى الشباب الراحل الى عالم البقاء ، وتحدث عن شفافية الروح .

رسمتُ أحزاني لوحات مستوحاة من صور كانت تزين غرفته ، وتحدثني عنه .

من أولى قصائد الديوان «المقعد الخالي» ثم أناشيد الأمومة وتمر الأيام ، ويتعمق الإيمان في قلبي وتتحول الفاجعة من أنانية الأم الى إحساس بأن ما أعانيه هو ذرة من آلام العالم الكبير . . وأصبحت أمومتي انتشاراً في الأرض . . بين الأطفال المعذبين في لبنان . . في افريقيا . . في طفل المقلاع . . وكتبت الكثير لأطفال الحجارة .

لا أعلم ان هنالك شاعرة صوّرت أدقّ مشاعر الأمومة ، كما فعلتُ ولكني أعلمُ أن هنالك الأمهات المؤمنات الصابرات اللاتي فقدن أبناءهن في الجهاد في سبيل الله . . وربما كنتُ أنا قصيداً يعبّر عن أحاسيسهن . .

من خلال تلك الرحلة الطويلة ، رحلة العذاب . . اليتم . . القهر . . الأرض . . الوطن . . الثكل . . رسمت ملامح شاعريتي شعراً وجدانياً صرفاً فيه الحب غيريّة خالصة . .

انني انسانة ، قد أتعرض للضعف ، فأتغلب على ضعفي ، وقد أظنني قوية فيغلبني وهني . .

وقد قالت الشاعرة منى الخيّر في بحثها عن الحب في شعر هند هارون . .

«انها تحتضن نواة الحب وتفجرّها في ذاتها ، كما تتفجر الذرة فتحوّل الى طاقة لا متناهية من الحب ، ويدور صراعها العاطفي مع الزمن دورة كاملة لتلتقي شعراء الصوفية الكبار» .

أشكر الله لأن الإيمان رسم لي الطريق ، واسلمتُ أمري الى الباري وعرفتُ أن الحياة عبور من حلم مؤقت الى يقظة أبدية . . وأحسّ ان «طفلة الآلام» الكامنة في أعماقي قد تحوّلت الى انسانية مدينة للحي القيوم بهباته ، وان عليها تسديد الدين .

وهكذا كتبتُ : «فراديس الروح» يوميات قلب في رمضان ، الأمومة والحب ، حكاية الأرض والانسان .

وغنيت الإمام الحسين عليه السلام قصائد وَجْدٍ قدسيّ وحزنٍ أبديّ كما أكرمني الله عز وجل بكتابة قصيدة «وهج البردة» أعارض فيها البوصيري وأحمد شوقي ، معبّرة عن الاسلام بصدق عفوي ، وعن عظمة الرسالة والرسول الكريم محمد ﷺ .

وكما تشرفت بنظم «ملحمة الإمام عليّ» عليه السلام[1] درة ثمينة في شعري ، متهيّبة جلال الموقف ، في الحديث عن الإمام العظيم ، عترة الرسول ﷺ .

وبعد . . أرىٰ من الواجب والاعتراف بالفضل ان أنوّه بما كان للعلاّمة الكبير الدكتور أسعد علي من أيادٍ بيضاء في دفع مسارقي الشعرية ، وهدايتي الى التمسك بحبال الرحمن . وقد حثّني على اخراج شعري الى النور ، على طباعته ، كما جعل منه موضوع رسالة ماجستير في جامعات لبنان .

أما زوجي المهندس أحمد قريعة ، فقد وقف الى جانبي راعياً ومجشعاً ، واسع الصدر ، أمنيته أن أكون في طليعة الشاعرات العربيات لديّ مخطوطات كثيرة منها :

١ ـ «مشاهد من عبقر» ـ عوالم قديمة ـ عوالم جديدة .

٢ ـ دراسات منها : المرأة العربية والشعر من العصر الجاهلي حتى عصر الانحدار .

دراسة حول «زنجية في بلاد السويد» للدكتور أسعد علي .

---

(١) راجع هذه القصائد في «الموسم» العدد السادس والعدد السابع .

حول «اسطورة الصحراء» للدكتور أسعد علي .

وقد أنجزتُ عملاً اعتبره قيّماً وأعتزُّ به ، وهو دراسة تحليلية عن «تجليات الرحمن» الكتب الأربع الأخيرة من «أضواء القرآن» للدكتور أسعد علي الذي يضمّ أربعاً وعشرين كتاباً أو جزءاً .

أجريتُ حلقات بحث في جامعة تشرين حول شعر الأمومة .

كما قُدّمت قراءات نقدية في شعر هند هارون باسم اتحاد الكتاب العرب في اللاذقية ، ألقيت فيها البحوث التالية :

ـ الصدق والمطابقة في شعر هند هارون للدكتور اسعد علي .
ـ الايقاع والموسيقى في شعر هند هارون للدكتور عبد الكريم يعقوب .
ـ رسالة حول اللغة الشعرية في شعر هند هارون للدكتور عمر الدقاق .
ـ البحث في شعر هند هارون للشاعرة مناة الخير .
ـ التجربة في شعر هند هارون للشاعر سعيد قندقجي .

صدر لي الدواوين الشعرية التالية :

سارقة المعبد .
عمّـار .
شمس الحب .
بين المرسى والشراع .
عمّار في ضمير الأمومة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تلك اللمحة السريعة عن مسارتي الشعرية ، لا يمكن ان تُلِمَّ بما يزيد على خمسة آلاف قصيدة كتبتها خلال رحلة العمر . .

المهمّ انني وصلتُ الى الراحة النفسية بتصعيد الألم الى الإيمان ، الى الرضى بما قدّر الله عز وجل ، وانه يرفع من يختار من عباده وينقّيهم بالصبر الجميل . . فتزول الغشاوة ليسموا على أوصابهم . ليشكروا الله على ما أعطى ولينعموا بسعادة اللقاء . . في دار البقاء . .

الأصدقاء :

من قصيدة لأبي فراس الحمداني وهو سجين في الاستانة :

تنـاسـاني الأصحـاب إلّا عصـابـة ... ستلحق بـالأخـرى غـداً وتحـول
وإن الـذي يبقى على العهـد منهمو ... وإن كـثرت دعـواهـم لـقـلـيـل
أقلّب طـرفي لا أرى غير صـاحب ... يميـل مـع النعـماء حيث تميـل
فيـا حسرتا من لي بخـلٌ موافق ... أقـول بـشـجـوي تـارةً ويـقـول

*

علوية الشيخ حمدان الخير

للشيخ حمدان الخير

القرداحة ـ سوريا

المقدمة

١ ـ حسبي عليها ثواباً حين القيها ... اني اليك أبا السبطين اهديها
٢ ـ رقيقه يتمشى اللفظ متسجماً ... فيها وتكسو لأليه معانيها
٣ ـ حبي يروح ويغدو في جوانبها ... يزهو برونقها الحالي ويزهيها
٤ ـ يا سيدي إن يكن غيري بغيركم ... قد احسن القول تمثيلاً وتشبيها
٥ ـ هذي قصيدته تبدو مقاطعها ... سبائك الدر تسبي لب قاريها
٦ ـ ولست كفئاً لها حتى اجاريها ... لكن هواك دعاني ان اجاريها
٧ ـ فمر عصي بياني ان يعاطيني ... زمامه ويلين القول لي فيها
٨ ـ وإنني شاعر لم تسم موهبتي ... لا يستطيع يراعي أن يوفيها
٩ ـ لولا هواك وسر منك في قلمي ... لاعجزتني وإن رقت قوافيها
١٠ ـ حسبي من الخير اني فيك انظمها ... وفي مناقبك الغراء أُمليها
١١ ـ وحسب شعري إذا رفت مدائحه ... أنيقة يتحلى فيك حاليها

عدم سجوده للأصنام

١٢ ـ اصنام مكة دكّت ما حنيت لها ... راساً كغيرك تقديساً وتنزيها
١٣ ـ حميت فاطمة لما علقت بها ... من السجود إلى ارباب اهليها
١٤ ـ طوت ليالي شهور الحمل طاهرة ... ثيابها البيض لم تدنس حواشيها
١٥ ـ ما اقبلت وهي ترجو أن يطاوعها ... جسم لتخضع إلا كنت تثنيها

١٦ ـ فجئت طهرك لو رفّت أشعته على الدياجير لابْيضّت نواصيها
١٧ ـ وجئت رأسك لم يسجد الى صنم والناس قد ألْهوا الأصنام تاليها
١٨ ـ كأنما كنت تدري عن منابرها وعن منصاتها يوماً سترميها

ولادته في الكعبة

١٩ ـ مولاي أحرزت في التاريخ مكرمة ونعمة ليس من نعمى تضاهيها
٢٠ ـ ولدت في الكعبة الميمون طالعها نوراً تجلّى بهاء في نواحيها
٢١ ـ وهذه في سماء الفضل منقبة لا يستطيع مبارٍ أن يباريها

نشأته في دار النبي صلى الله عليه وآله

٢٢ ـ دارت على الناس أعوام مرزأة ماتت بها الارض واجتثت مجانيها
٢٣ ـ وكان والدك المفضال من عوز يعيش فيها وجيع الحال شاكيها
٢٤ ـ فجاء أحمد والعباس منزله يرفهان عليه العيش ترفيها
٢٥ ـ قالا : نشاطره أفراد أسرته وننقذ البيت من حال يعانيها
٢٦ ـ فاختار طه أبا السبطين حجته يؤويه داراً ينال العز آويها
٢٧ ـ نزلت داراً تليد العز يعصبها يغاره وطريف المجد يزهيها
٢٨ ـ دار يجللها أعظامها فرشت خمائل الطهر والإيمان ناديها
٢٩ ـ جاءت عن المصطفى أطياب رفعتها واشرقت من معاليه معاليها
٣٠ ـ وضيئة بعد بيت الله رتبتها ومن زكيّ لآليه لآليها
٣١ ـ منها تعلمت حتى ليس مسألة إلّا وتعلم خافيها كباديها
٣٢ ـ فيها تشبعت إيماناً كان به عطراً إذا نشقته النفس يحييها
٣٣ ـ أخذت من خلق بانيها مباديه حتى حسبناك في خلق كبانيها
٣٤ ـ تحيا وصاحبها خلين ما افترقا يوماً وتزداد تأديباً وتفقيها
٣٥ ـ يا حبذا صحبة قامت على شرف أخلاق طه تنقيها وتصفيها

إسلامه كما ذكر التاريخ

٣٦ ـ مولاي تشغل بالي منك مسألة مهما تبسّط شرحي لا يوفيها
٣٧ ـ أسلمت غضّاً امارات الصبا شعل رفت بطلعتك الغراء تزكيها
٣٨ ـ أسلمت لما بلغت الست فابتهجت بك الحنيفة وامتدت أمانيها
٣٩ ـ لبيت دعوة طه وهي ما برحت بالغار تفتح للدنيا مآقيها
٤٠ ـ قل لي إذا هو لا يرتاد ناديها فمن ليحيا به يرتاد ناديها

٤١ ـ لكن اسلامه قالت به فئة مقالة صفحات العلم تنفيها
٤٢ ـ مقالة راية الإجحاف عالقة بها ترفرف كالاحلام تمويها
٤٣ ـ لو انصف الحاكم القالي ابا حسن لزاد اسلامه قدراً وتنبيها
٤٤ ـ اسلامه في كتاب الحمد مفخرة كل المفاخر معنى من معانيها
٤٥ ـ إن كان صاحبه الهادي تَعَجَّله الى الحنيفة يحيا في معاليها
٤٦ ـ فإن صاحبه الهادي راى فهماً فيه ولم ير طفلاً ينثني تيها
٤٧ ـ ما كان طه الى ايجاب دعوته يدعو صبياً صغيراً ليس يدريها
٤٨ ـ وإن تمشى الى الهادي أبو حسن يرجوه من قدس دعواه مباديها
٤٩ ـ إن كان إلهامه العالي اتاح له سبيلها دون ان يهديه هاديها
٥٠ ـ فإنها رفعت ما كان من احدٍ سواه يبلغ أو يرقى مراقيها
٥١ ـ ما قام طه ولا قامت رسالته حتى تبلغ فيها امر باريها

اسلامه كما يراه الناظم

٥٢ ـ يا سيدي لي آراء أضنّ بها كانها من عهودي لست أبديها
٥٣ ـ تحيا بقلبي فتحييني وتؤنسني إذا خلوت الى نفسي اناجيها
٥٤ ـ لكنني وبيان البحث يسألني رأيي سأنشر للاجيال خافيها
٥٥ ـ إني لأعجب يا مولاي من قصص تاريخك الفذ يحكيها ويرويها
٥٦ ـ ما كنت ارضى معانيها لاقبلها حقائقاً منك تستوحي معانيها
٥٧ ـ هل صحّ لمّا بلغت الست سرت إلى طَه ودعوته العليا تلبيها
٥٨ ـ في دار طَه وفي أكناف دعوته نشات لو عرفوا فضلاً لناشيها
٥٩ ـ ولدت في البيت معصوماً وجئت إلى دار تضاهي علاه تنتشي فيها
٦٠ ـ فهل لهم سيرة من قبلها عرفت اجل منها إلى الإسلام توجيها
٦١ ـ وهل لهم ما تغنوا مثله شرفٌ يرويه من صفحات الحمد راويها
٦٢ ـ مولاي آمنت من يوم رأيت به وجه البسيطة بالدعوى وداعيها
٦٣ ـ رسالة المصطفى من قبل نشأتها آختك في مهدك الزاهي أواخيها
٦٤ ـ فكيف يقبل عقلي ما رماك به مؤرخ كتب التاريخ تمويها
٦٥ ـ لو انه احكم الراي السديد بدت له الحقيقة في أسمى مجاليها
٦٦ ـ لبّيت دعوة طَه ما وقفت لها حتى مشى من ليالي الست ماشيها
٦٧ ـ عرفتها قبل ان تعدو مرفرفة بنودها بربوع الارض تحييها
٦٨ ـ راتك برّاً يواليها بفطرته يا حبذا فيك إلهام يواليها

نومه على فراش النبي صلى الله عليه وآله

٦٩ ـ نبت بطّه على دعواه .. مكّته ... واحجم القوم فيها عن تلقيها
٧٠ ـ واجمعوا أمرهم يأتون منزله ... وقد تهادى من الظلماء ساجيها
٧١ ـ ليقتلوه وينجوا من رسالته ... ويأمنوا في بواديهم تماديها
٧٢ ـ فخف جبريل من أطراف جنته ... يحمي حقيقة طّه من أعاديها
٧٣ ـ خاف الأمين على طّه ودعوته ... منهم فاسرع ينجيه وينجيها
٧٤ ـ وشد طّه الى دار مباعدة ... ركابه في فجاج السيل يزجيها
٧٥ ـ لمّا رأى السيف من طيات مغمده ... ينضى تولى كسير العين باكيها
٧٦ ـ وقال للمرتضى والنفس موجعة ... فيها سهام من الآلام تدميها
٧٧ ـ داري إذا أنا لا ألفى بساحتها ... فنم بها ليظنوا أنني فيها
٧٨ ـ وهذه كتب عندي لهم وضعت ... فادها بعد أن أغدو لأهليها
٧٩ ـ يالهف قلبي عن ساحات مكّته ... طّه تناءى وعن زاهي ضواحيها
٨٠ ـ خلّى لينشر دعواه مسارحها ... وفات من أجل دعواه مباهيها
٨١ ـ تسلّم البيد تطويه مخاطرها ... على ركاب له خفت ويطويها
٨٢ ـ ونام في الدار لم يجزع أبو حسن ... على الفراش وديع النفس هاديها
٨٣ ـ غفا به ملء جفنيه يهمهده ... حلو المنام رمقته العين يسبيها
٨٤ ـ حلم ألذّ من الأطياب عالقة ... عليه من روعة الدعوى تزاهيها
٨٥ ـ حلم تطل به الجنات ضاحكة ... كأنه رف من أحلام واديها
٨٦ ـ مولاي أي فؤاد أنت تحمله ... لم يخش من جلبات الشرك داويها
٨٧ ـ ما خفت من فئة جاءت إليك وقد ... ترنحت بأياديها مواضيها
٨٨ ـ لقيتها وجناح الليل يسترها ... بحالك الريش صلب لا يباليها
٨٩ ـ لقيتها فتوارت عنك مائلة ... كأنما البيض ما كانت بأيديها
٩٠ ـ مالت وأسيافها بالغمد نابية ... ماذا يفيد من الاسياف نابيها
٩١ ـ طّه تناءى إلى دار مقدسة ... تنشقت طيب دعواه روابيها
٩٢ ـ ونمت في داره تفدي رسالته ... سواك يا سيدي من كان يفديها
٩٣ ـ حويت لما مشى طّه لهجرته ... مكارما غير طّه ليس يحويها

هجرته عليه السلام

٩٤ ـ رعيت ذمة طّه في أمانته ... وليس يغرب أن تلفيك راعيها
٩٥ ـ رعيتها نسمات الطهر شائعة ... منها كبيض ورود في بواديها
٩٦ ـ كرمت حاضرها من بعد هجرته ... حتى تفتق مزهواً كماضيها

٩٧ ـ ادت يداك إلى كل أمانته كما توصاك طٰه أن تؤديها
٩٨ ـ ورحت تلحقه مشياً ليثربه وما خشيت لمراه فيافيها
٩٩ ـ لحقته تتحلى من محاسنه وتستقي منه نعمى طاب ساميها
١٠٠ ـ هاجرت تحدوك في بيد مروعة عزيمة لم تكن بيد لتثنيها
١٠١ ـ وجئت كالبدر طه كل منقبة ترى على وجهك الحالي مرائيها
١٠٢ ـ أتيته لم تخف بعداً تساعده على بناية دعوى كان يبنيها
١٠٣ ـ وانت ما زلت من وجد ومن شغف ترعى بسيفك دعواه وتعليها

مؤاخاته له عليه السلام في يثرب

١٠٤ ـ لمّا انتهيت إلى طه بيثربه آواك طٰه بدار كان يأويها
١٠٥ ـ صحبته قبل في ساحات مكّته وجئت صحبته الاولى تثنيها
١٠٦ ـ يا حبذا صحبة طابت مناهلها روتك من سلسل التقوى غواديها
١٠٧ ـ آخاك طٰه لآيات ممتعة وطيّبات خصال فيك يلفيها
١٠٨ ـ وحسب نفسك من فخر ومن شرف إن راح في يثرب طه يؤاخيها
١٠٩ ـ لا تقبل النفس خدناً في معاشرة إلا إذا كان في خلق يحاكيها
١١٠ ـ وانت أشرقت من اطياب طينته طيناً تجمع فيه كل ما فيها

بطولة الامام في بدر

١١١ ـ مولاي دعوة طه أبصرتك يداً بيضاء تنقلها الدنيا وترويها
١١٢ ـ فانت طفلاً تواليها وتكرمها وأنت شبأ تناوي من يناويها
١١٣ ـ وانت فوق جبال العز رافعها وأنت من صحبات الشرك حاميها
١١٤ ـ آياتك البيض لا تنسى وإن ذكرت بدرٌ تذكر بيض الآي ناسيها
١١٥ ـ بدرٌ معالم فخر عنك باقية وإن اطيب أي الفخر باقيها
١١٦ ـ بدرٌ اناشيد إعظام وتكرمة ثغر الخلود على الدنيا يغنّيها
١١٧ ـ لله انت وإن جاشت مراجلها تمشي إليها ولا تخشى دواهيها
١١٨ ـ تمشي ونفسك من إقدامها سكرت ترى الوطيس رفيفاً من أمانيها
١١٩ ـ تفلتت من حدود العزم وابتدرت وليس للعزم من حد يدانيها
١٢٠ ـ ترنو فبرق من الاحداق ملتهب تنجاب فيه عن الدنيا دياجيها
١٢١ ـ وترسل الصوت رعداً في زمازمه ضجت به البيد قاصيها ودانيها
١٢٢ ـ انّى اتجهت يميل الشرك منكسراً وينثني موجع الاضلاع داميها
١٢٣ ـ زندٌ تحمل سيفاً تحت ضربته لا يستقر من الأجيال راسيها

١٢٤ ـ رأيت جانحة البيداء صادية فرحت من دم أهل الشرك تسقيها
١٢٥ ـ من للوليد ونار الحرب مائجة كاليم جنت لها أعيان رائيها
١٢٦ ـ خرجت تطلبه ما خفت غطرسة وصولة كان في الميدان يلقيها
١٢٧ ـ علوته بحسام لو ضربت به هام الجبال لزالت من أعاليها
١٢٨ ـ وملت في ساحة الميدان مضطرماً تحمي الرسالة من أحقاد غازيها
١٢٩ ـ ترميهم بحسام رق مضربه يصافح الرأس عجلاناً فيبريها
١٣٠ ـ سيف كزندك ماض ما انثنيت به يوماً على ضربة اولى تثنيها
١٣١ ـ ما زلت تضربهم حتى رأيتهم أن الهزيمة ناداهم مناديها
١٣٢ ـ فرّوا أمامك من أهوال معركة رخصت فيها من الأرواح غاليها
١٣٣ ـ فرّوا أمامك والأرواح جازعة كادت تودع من خوف تراقيها
١٣٤ ـ فرّوا فلاحت ربى البيداء تحتهم كأنها منك قد فرت نواحيها
١٣٥ ـ مولاي أي نضال لست فارسه وأي سدة مجد لست بانيها
١٣٦ ـ لولاك لم يعرف الاسلام دولته ولم تمد له الدنيا اياديها
١٣٧ ـ يا طيب ما اختتمت بدر برونقه ويا رضا عنه ما انجابت دياجيها
١٣٨ ـ فيها جزيت حساماً لا يعادله من الصوارم في حرب يمانيها
١٣٩ ـ ماض على حده تمشي مرنحة قوافل الموت تزجيه ويزجيها
١٤٠ ـ زانتك بدر بتاج من كرامتها وقلدتك علا أمضى مواضيها
١٤١ ـ أولتك أقدس ما يولى به بطلٌ فذو الفقار معان من معانيها

أحـــد

١٤٢ ـ ويلاه من غزوة يشجي تذكرها جالت على راية الدعوى مزاكيها
١٤٣ ـ ويلاه منها روايات مبرحة ندّى يراعي مداداً من مآسيها
١٤٤ ـ يلتاع قلبي إذا رفت بخاطرتي فكيف يسلس لي شعري لارويها
١٤٥ ـ رعناء لم تشهد الدعوى كمشهدها ولا أضاعت سواها في مغازيها
١٤٦ ـ دقت رباعية الهادي أسنتها وجرحت خده الباهي مواضيها
١٤٧ ـ دماؤه انسكبت حمراً مشعشعة كأنها الشمس في ارض مجاليها
١٤٨ ـ رفت على الرمل تسقيه على ظمأ وغلةٍ فيه دفقاً من معاليها
١٤٩ ـ تلك الرمال وما أندى سلافتها بين الشفاه وما أحلى تساقيها
١٥٠ ـ البابلية لا تسمو لنكهتها والفجر في سحر لون لا يحاكيها
١٥١ ـ وما جرت بالفيافي دون ماء فمن أدى مروءة الاثمان مجريها
١٥٢ ـ أصنام مكة لم تقبل بها قوداً ولا وفت دية هامات أهليها

١٥٣ ـ الجاهلية كانت كلها ثمناً لها ففيها تولت عن صحاريها
١٥٤ ـ دماء طه وهل إلاّ رسالته وما بها من مروعات يوازيها
١٥٥ ـ مالوا عن الشعب لا بروا ولا صدقوا ولا رعوا حرمة الدعوى وداعيها
١٥٦ ـ خفوا إلى السلب تغريهم مكاسبه وكم نفوس حطام السلب يغريها
١٥٧ ـ بهم تغير وجه النصر في احد وفيهم خانت الدعوى مراميها
١٥٨ ـ ماذا تكرس من أعمالهم أحد لولاهم لعدت طه عواديها
١٥٩ ـ لكل اجر شهيد في مسارحها آمال احمد تبكيه ويبكيها
١٦٠ ـ يا حمزة الخير والاجفان واكفة حيال ذكرك لم تحبس غواديها
١٦١ ـ لله انت مع التاريخ من رجل لم يخطه من سهام الغدر راميها

الامام في أحد

١٦٢ ـ طه ينزُّ جراح فيه دامية إنَّ الجراحات أقساها دواميها
١٦٣ ـ وانت من حوله كالليث منتصباً ترميك بيض اعاديه وترميها
١٦٤ ـ تصونه والطوال السمر راعفة زرق المنايا تثنت في تثنيها
١٦٥ ـ تصون طه وطه بالحضيض لقىً كهالة المجد زاحت عن اعاليها
١٦٦ ـ ورفّ جبريل بالميدان مبتسماً يلومه فيك عن حال تقاسيها
١٦٧ ـ فقال طه له والجفن منكسر والنفس فيها من الاحزان ما فيها
١٦٨ ـ منّي عليٌّ وإني من أبي حسن كرامة الخلق تنمينا وتنميها
١٦٩ ـ صقران نحن فلا سلم يفرقنا ولا حروب وإن جنّت سوافيها
١٧٠ ـ فصاح جبريل ضماني لحوضكما قداسة الحب أختنا اواخيها
١٧١ ـ وإنني منكما لا زال عهدكما نعمىً بقلبي تصبيني واصبيها
١٧٢ ـ إذا مشت دعوة الهادي على أحدٍ ولم تنل غاية كانت ترجيها
١٧٣ ـ فانت وحدك يا مولاي في احد جزيت منقبة كالفوز ترضيها
١٧٤ ـ أخيت طه وجبريلا وأي فتىً ملائك الله رامت ان يؤاخيها
١٧٥ ـ لولا فخار جزيل نلت في أحد لكنت من مدحتي الغراء امحيها
١٧٦ ـ وربما لكرامات حبتك بها زها بقلبي عبيراً فرط حبيها

الأحزاب والامام في الأحزاب

١٧٧ ـ يعيبنا شعراء الغرب حيث رووا لنا اساطير خان الحق راويها
١٧٨ ـ يحكون فيها روايات مبالغة لم يعرف الحق معنىً من معانيها
١٧٩ ـ يخادع الحق معناها كما خدعت لوافحُ من سراب البيد ساريها

١٨٠ ـ تخيلوا ما حكوا لم يشهدوا بطلاً كما ترجيه نفسٌ في تشهيها
١٨١ ـ لو أنهم شهدوا الأحزاب ما كتبوا لنا الأساطير تضليلاً وتمويها
١٨٢ ـ لو أنهم شهدوا أهوالها وقفت أقلامهم في سماع الدهر تحكيها
١٨٣ ـ تحكي مرسخة الأعطاف عن بطل وعن شجاع كبير النفس عاليها
١٨٤ ـ وعن حقائق في التاريخ واضحة فلا خيال ولا وهم يدانيها
١٨٥ ـ كتائب تعبر البيداء زاخرة تكاد تنطف أحقاداً مواضيها
١٨٦ ـ جاءت الى يثرب من كل ناحية وفاجأتها وشر الحرب فاجيها
١٨٧ ـ وخندقت يثرب تنجي حنيفتها يا ليت شعري هل هذا ينجيها
١٨٨ ـ أبناؤها ذهلوا رعباً كأنهم لم يبصروا قبل من حرب دواهيها
١٨٩ ـ طاروا شعاعاً وزاغت في محاجرها أبصارهم فهي عمي في مآقيها
١٩٠ ـ واستأذنوا لفرار لا لدورهم طه وطه ببيض الهند يحميها
١٩١ ـ ظنّوا بربك ما ظنّوا وما علموا إن الحنيفة لا يخشى مواليها
١٩٢ ـ مشى ابن ودّ وبزّت فيه خندقهم كريمة أي طير لا يماشيها
١٩٣ ـ ما خاف طه ولا أنصار دعوته وجدٌ مغتبطاً للحرب يصليها
١٩٤ ـ والحرب تعرف عمرواً إنه بطل وإنه عند هزج البيض حاميها
١٩٥ ـ تقدم الجيش يلقاه أبو حسن والحرب غير ذويها لا يلاقيها
١٩٦ ـ صالا طويلاً وثار النقع حولهما غمامة مطرت رعباً حواشيها
١٩٧ ـ شد الإمام على عمرو وعاجله بضربة منه لا يجدي توقيها
١٩٨ ـ رمته عن سرجه العالي ولا عجب يدري الحديد ويخشى عزم راميها
١٩٩ ـ يا ضربة ترقص الدنيا لها طرباً يد الحنيفة بعضٌ من أياديها
٢٠٠ ـ مشيت في مسمع الآفاق جلجلة ورددتك من الدنيا أقاصيها
٢٠١ ـ قلبي يغنيك من وجد ومن شغف كما تغنّى على الأغصان قمريها
٢٠٢ ـ فرقت عن أحمد الهادي أعاديه وذدت عن دعوة الهادي أعاديها
٢٠٣ ـ إن الحنيفة ما شيدت قواعدها إلاّ عليك ولا قامت أواسيها
٢٠٤ ـ ما زلت في مسمع الآفاق أغنية عن البطولة تحيي روح شاديها
٢٠٥ ـ مولاي دعني أرددها فإن بها أسطورة الشرق لامين يواريها
٢٠٦ ـ صاحت ملائكة الرحمن جازعة الله أكبر لما كنت تهويها
٢٠٧ ـ لا سيف للحرب إلا ذو الفقار ولا يرجى فتى كعلي في دواهيها
٢٠٨ ـ وصاح طه وخمر البشر قد لعبت فيه كما لعبت خمر بساقيها
٢٠٩ ـ اليوم دعواي تنجو من مهالكها وتقطع الوعر من وادي فيافيها
٢١٠ ـ هذا عليٌ تولاها بهمته وردّ بالسيف عنها من يعاديها

٢١١ ـ خاض الوغى وجرى الإيمان أجمعه ... للشرك أجمعه يصليه صاليها
٢١٢ ـ مولاي حسبك من فخر ومن شرف ... أي من الحمد تسبي لب تاليها
٢١٣ ـ وحسب نفسك من إطراء مادحها ... إن راح طه بأغلى الحمد يطريها

الامام في خيبر

٢١٤ ـ شجاعة تسكر الأقلام إن أخذت ... يوماً على صفحات الطرس تحكيها
٢١٥ ـ غنت روائعها الأزمان مولعة ... بها واي زمان لا يغنيها
٢١٦ ـ حصن تمطى إلى الجوزاء يلبسها ... تاجاً وينهل خمراً من سواقيها
٢١٧ ـ تكسرت فوقه الاجيال ما فتحت ... أبوابه كفّ غاديها وباديها
٢١٨ ـ غزته أجناد طه وهي تحسبه ... كما رأت من حصون في مغازيها
٢١٩ ـ جاءت اليه فلم تدفع صوارمها ... بطولة كان دون الباب يبديها
٢٢٠ ـ ضاقت بها كل حال فانثنت هرباً ... وضيعت بيض آمال ترجيها
٢٢١ ـ فصاح طه سأعطي رايتي رجلاً ... بكل نصر وإعلاءٍ يحلّيها
٢٢٢ ـ يحبه الله لم تبعد مفاخرنا ... إلا وكان عليه الله يدنيها
٢٢٣ ـ أحب خالقه العالي وخالقه ... أحبه فهو بر النفس عاليها
٢٢٤ ـ أتيت لما رأيت الحرب عابسة ... طه وأنت وجيع العين داميها
٢٢٥ ـ وهل يعوقك ما في العين من رمد ... دعاء طه من الأرماد يشفيها
٢٢٦ ـ حصون خيبر والأيام شاهدة ... إن الهزيمة من آمال غازيها
٢٢٧ ـ صببت من فوقها خيلاً محجّلةً ... كرامة النصر تزهو في نواحيها
٢٢٨ ـ قلعت لما تأبى باب عزتها ... ولا غرابة ان تقلع رواسيها
٢٢٩ ـ قلعته بيمين لو قبضت بها ... أطراف دنيا لمالت عن نواحيها
٢٣٠ ـ رميت مرحب لم تأبه لصولته ... متى تخوف ليث الحرب عاديها
٢٣١ ـ ودعت بالدين مزهواً ومنتصراً ... بيض الكواكب تحكيه ويحكيها
٢٣٢ ـ رفت تنوّر ملء الجو رايته ... كما تنوّر في نفس أمانيها
٢٣٣ ـ تمايلت في سماء المجد زاهية ... كانما هي بعض من دراريها
٢٣٤ ـ مولاي ترعش اعصابي إذا عبرت ... ذكراك فيها وتمحو من ماسيها
٢٣٥ ـ بنيت للدين أمجاداً مخلّدة ... فأي آية مجدٍ لست بانيها

فتح مكة

٢٣٦ ـ خانت قريش عهود المصطفى ومشت ... إلى خزاعة بعد العهد تؤذيها
٢٣٧ ـ مالت عليها ببيض الهند مرهفة ... وذمة العهد تبكي ليل وافيها

٢٣٨ ـ الذئب للغدر لا عهد ولا خلق يثنيه عن غنمات نام راعيها
٢٣٩ ـ فسار أحمد والاجناد تتبعه ملء الصحارى وعين الله تحميها
٢٤٠ ـ كتائب في رحاب البيد هائجة كما يهيج من الآساد ضاريها
٢٤١ ـ كرامة الذكر نور في أواخرها وروعة النصر نور في أواليها
٢٤٢ ـ تمشي لمكة تغزوها وتفتحها وتنشر الدين في أرجاء ناديها
٢٤٣ ـ فطأطأت مكة أعلام عزتها واستسلمت ليد الهادي مواليها
٢٤٤ ـ وطاف فيها رسول الله يملؤها نوراً وقد ملئت شركاً نواحيها
٢٤٥ ـ رفت على البيت دعواه مشعشعة كما ترف الاقاحي في بواديها
٢٤٦ ـ خفّت إليه تحليه وتلبسه غلائل الطهر من أثواب هاديها
٢٤٧ ـ حنت إلى البيت فانساقت تطوف به وفي القلوب حنين كاد يلقيها
٢٤٨ ـ طه يقل عليا فوق منكبه كما تقل سماوات دراريها
٢٤٩ ـ أعلاه يغسل وجه البيت من دنس وخزية تعرف الدنيا ماسيها
٢٥٠ ـ أعلاه ينزع من أحضان كعبته شركاً بلفحته الخضراء يكويها
٢٥١ ـ تمزق الشرك بالأسياف فابتهجت لما تمزق دينٌ كان يشقيها
٢٥٢ ـ مولاي هذي على الأجيال منقبة لا يقدر النجم أن يرقى مراقيها
٢٥٣ ـ بالسيف تُنزل من علياء سدتها لاتاو عن عرشها المزهو يُلقيها
٢٥٤ ـ رميتها عن جبال العز باكية وسقتها لحضيض من مهاويها
٢٥٥ ـ رقيت غارب طه لم يرعك به نور الملائك أو انوار باريها
٢٥٦ ـ لما ارتقيت ألم ينحطّ تمسكه من الكواكب عاليها وزاهيها
٢٥٧ ـ أما غدوت الى الجوزاء تسألها خمراً وعطراً وشهداً من سواقيها
٢٥٨ ـ عاطتك من خمرها كاساً معتّقة ليست تكدّرُ نارُ الإثم صافيها
٢٥٩ ـ رقيت غارب طه فارتقيت إلى وليمة صفحات الافق ناديها
٢٦٠ ـ وليمة في سماء الله عامرة مجامر المسك نور من حواشيها
٢٦١ ـ قنديلها الشمس والجوزاء قينتها والبدر شاعرها والنجم ساقيها
٢٦٢ ـ جنان ربك بعض من مسارحها والمرسلون لفيف من غوانيها
٢٦٣ ـ وسدرة العرش تضفي من ظلائلها فوق المسارح أطياباً تنديها
٢٦٤ ـ وليمة لم تكن إلّا لتبصرها وتملأ العين أعلى من معاليها
٢٦٥ ـ فطب فؤاداً فما في المجد مفخرة إلّا وعلياك أعلى من معاليها
٢٦٦ ـ الجاهلية لاقت فيك مصرعها فأنت يا سيدي أعدى أعاديها
٢٦٧ ـ مالاتها البغض حتى أنها رضيت بأن تكون لها قبراً صحاريها

الامام في حنين

٢٦٨ ـ وادي حنين لقيت الخير قص لنا حكاية ينعش الالباب حاكيها
٢٦٩ ـ سوىٰ ربوعك لم يشهد وقائعها وغير جفنك لم يشهد مجاليها
٢٧٠ ـ هات الأحاديث تحي من صراحتها جوانحاً كاد زور القول يرديها
٢٧١ ـ خيلٌ حسانٌ وأسياف مسللة تغضي الشموس حياء من تلاليها
٢٧٢ ـ إذا نظرت الى البيداء لم ترها ليل الغبار عن الأعيان يخفيها
٢٧٣ ـ كتائب ليس يحصىٰ الجفن عدتها فغير وادي حنين ليس يحصيها
٢٧٤ ـ جدّت وجد أمير النحل يقدمها كانه النور في الظلماء يهديها
٢٧٥ ـ بعض الرجال رآها وهي سائرة ملء البوادي فمادت نفسه تيها
٢٧٦ ـ وقال للناس من عجب ومن طرب مقالة صفحات الذكر ترويها
٢٧٧ ـ لن تغلب اليوم من ضعف كتائبنا فليس يقدر خصم ان يلاقيها
٢٧٨ ـ ما أهون الحرب لو كانت متاعبها قولاً إذا قيل ننجو من غواشيها
٢٧٩ ـ خلّ النضال وخل الحرب ناحية الحرب تكره إلا من محبيها
٢٨٠ ـ الحرب إلا على فرسان حومتها نار بزاوية الاضلاع تشويها
٢٨١ ـ خاض الامام غمار الحرب مبتهجاً كانما نفسه لاقت أمانيها
٢٨٢ ـ يرمي الرؤوس فيلقيها مصرعة تحكي إلى الترب عذراً عن تعديها
٢٨٣ ـ كانها فوق وجه الترب هامدة ذرا جبال تهاوت عن اعاليها
٢٨٤ ـ كم فاجر لو درى ما سوف يبصره لمّا اتى غزوة للسيف آتيها
٢٨٥ ـ كم مشرك وأبو السبطين يورده موارد الموت يسقىٰ من عزاليها
٢٨٦ ـ أحب دعوة طه من مخافته وسفّه الشرك والاصنام تسفيها
٢٨٧ ـ وادي حنين رعاك الله كم سمةٍ لولا ربوعك لم تلمح تجلّيها
٢٨٨ ـ المسلمون وياالله حين راوا نار القتال تنحّوا عن مصاليها
٢٨٩ ـ خلّوا النبي لاطراف القنا ونسوا حياته كيف يرجو الخير ناسيها
٢٩٠ ـ طاروا شعاعاً كغزلان رأت اسداً مروع الشدق يدنو من ملاجيها
٢٩١ ـ لولا علي وهولٌ من بطولته صواعق الشرك لم تكشف دياجيها
٢٩٢ ـ لولاه دارت حنين غير خائفة نور الحنيفة في اغوار واديها
٢٩٣ ـ من كان غير ابي السبطين ينقذها وقد دهاها من الاهوال داهيها
٢٩٤ ـ خلّ المدائح ما كانت لترفعه قدراً وإن نظمت درأ قوافيها
٢٩٥ ـ إن تلبس البدر يوم التم جوهرة فهل تحليه فيها أم تحليها

علي وعمرو في صفين

٢٩٦ ـ صفين كالليلة الظلماء داجية والقلب يرعن خوفاً من تدجيها
٢٩٧ ـ شعت بظلمتها الأسياف لامعة كأنها ومض برق في نواحيها
٢٩٨ ـ صفين أي فؤاد لا تروّعه إذا تراءت له ذكرى مآسيها
٢٩٩ ـ الجو يرنو الى الاجساد مضطرباً والأرض تغمض من خوف مآقيها
٣٠٠ ـ والنهر يرجو فراراً من شواطئه وكم مياه اضرتها شواطيها
٣٠١ ـ لئن سقى البيد قبلاً من سلافته فإنه اليوم تسقيه ويسقيها
٣٠٢ ـ كأنه والدماء الحمر تمزجه سلافة المجد تجري في مجاريها
٣٠٣ ـ يغدو إلى الحرب عمرو وهو مبتسم كأنه ليس يخشى من عواديها
٣٠٤ ـ يغدو إلى الساحة الكبرى فيصدمه بالساح فارس عدنان وحاميها
٣٠٥ ـ فكيف يصنع عمرو والردى لمعت بنوره أي ستر لا يواريها
٣٠٦ ـ دع عنك عمراً وما أبداه من جزع الأسد غير اسود لا تلاقيها
٣٠٧ ـ دعه يرد الردى عنه بسوءته فنفسه دافعت عنها مساويها
٣٠٨ ـ دعه يفر وخزي الجبن زوبعة وراءه تملأ الدنيا سوافيها
٣٠٩ ـ يا عمرو اصعب من لقيا أبي حسن هزيمة منه لا تفنى مخازيها
٣١٠ ـ نفس الأبيّ نجاة العار تقتلها قبل السيوف وموت المجد يحييها

عليٌّ وعمرو

٣١١ ـ ما قولة لعلي قالها عمرٌ يحار سامعها فيها وملقيها
٣١٢ ـ غريبة من بنات الشعر زائفة فلا دليل ولا رشد يزكيّها
٣١٣ ـ أبو تراب سيوف الهند تعرفه إذا تنادى إلى حرب مناديها
٣١٤ ـ سل عنه دعوة طه في مخاطرها لولاه لم يسر في الآفاق ساريها
٣١٥ ـ يا شاعر النيل دع وهماً غررت به فالوهم يخدع البابأ ويغريها
٣١٦ ـ بدر وخيبر والأحزاب تعرفه أهوالها وغواش من دواهيها
٣١٧ ـ سلها إذا شئت هل كانت لتحرقه نيرانها وهي تزكو في مصاليها
٣١٨ ـ فكيف يحرقه بالدار «صاحبه» أما تبصر بالأقوال راويها
٣١٩ ـ إنّ النسور تطوف الجو ضاحكة ولا تخاف عقاباً من قماريها
٣٢٠ ـ خل الخيال وخل الوهم ناحية تطوي الحقائق أوهامي وتخفيها
٣٢١ ـ يا بن الكنانة ما قول لهوت به والشعر في النفس نوع من ملاهيها
٣٢٢ ـ الدين لله لا ترضى به بدلاً ولا نؤله غير الله تأليها
٣٢٣ ـ المسلمون جميعاً في عبادتهم يرون في الدين توحيداً وتنزيهاً

٣٢٤ ـ فكيف تزعم أن الناس قد عبدوا بعض الائمة تزويداً وتسفيهاً
٣٢٥ ـ رسالة المصطفىٰ قدس ومعرفة ما دان إلّا بتوحيد مواليها
٣٢٦ ـ فخل قولك إنّا لا نقر به شوهت فيه جلال الدين تشويها

غَدِيْرُ خُمّ

٣٢٧ ـ غدير خم وما أحلاه منسكباً بالبيد ينعش من غلواء صاديها
٣٢٨ ـ كانه اذ جرىٰ بالبيد يغمرها بمائه صفحات من أمانيها
٣٢٩ ـ أناخ طه جنود المسلمين به لغاية غير طه ليس يدريها
٣٣٠ ـ كتائب رجعت من حجها فهفت لراحة بعد سير كاد يفنيها
٣٣١ ـ نادىٰ بها أحمد الهادي واعجلها حتىٰ تجمع قاصيها ودانيها
٣٣٢ ـ طه علىٰ منبر الأقتاب منتصب خطيب مكة طه في صحاريها
٣٣٣ ـ كأنه وعلي تحت ميمنه شمس تفيض علىٰ بدر مباهيها
٣٣٤ ـ يامنبراً فوقه طه وصاحبه أبو تراب تمايل فيهما تيها
٣٣٥ ـ يهنيك تحمل من لولاهما بقيت دنياك في ظلمات من دياجيها
٣٣٦ ـ اشرب هنيئاً وزد في الشرب مغتبطاً حملت من بركات الله صافيها
٣٣٧ ـ سمعت خطبة خير الناس عن كثب لما تقدم بين الناس يلقيها
٣٣٨ ـ طه يقول وعين الخلد شاهدة ذاك المقال وصاياه يوصيها
٣٣٩ ـ أظنكم لن تروني بعد عامكم هذا فنفسي هفت شوقاً لباريها
٣٤٠ ـ من كنت مولاه في أمر نهضت به ودعوتي انا مولى من مواليها
٣٤١ ـ فإن مولاه من بعدي وسيّده أخي علي كريم النفس عاليها
٣٤٢ ـ هذا وصيي وهذا فيكم خلفي يرعى الرسالة من بعدي ويحميها
٣٤٣ ـ قلدته أمرها يرعى جوانبها قوسي اسلمها بعدي لباريها
٣٤٤ ـ يارب ساعد علياً في إمامته وانصر مناصرها واخذل معاديها
٣٤٥ ـ ووال يارب من والى اباحسن فدعوتي خذلت فيه أعاديها
٣٤٦ ـ هذي وصاياك ياربي نطقت بها بلغتها مثلما ترضى لأهليها
٣٤٧ ـ كشفت عنها غطاء كان يسترها فانظر إليها ولا ستر يغطيها
٣٤٨ ـ مولاي بيعة خم آية نطقت يفنى الزمان ولاتفنى مباهيها
٣٤٩ ـ لما تلتها الليالي قال قائلها هذي اليواقيت بل هذي غواليها
٣٥٠ ـ الصاحبان أبانا من بشائرها وقدما لك برداً من تهانيها
٣٥١ ـ ياليت شعري ما للمسلمين نسوا وحسرة الشمس أن ينسى تجليها
٣٥٢ ـ إذا ألم ببعض منهم صَمَمٌ عنها فحسبك ان الذكر يرويها

٣٥٣ ـ ويلي يمحّون ما أملى نبيهم ... رواية الحقّ لا تمحى أماليها
٣٥٤ ـ وليس ضائرنا ان يكتموا عظة ... حديث طه وآي الذكر يغشيها
٣٥٥ ـ مولاي دعهم وماقالوا وما اعتقدوا ... عقيدة المرء لايرجى تلافيها
٣٥٦ ـ إن أغفلوها فبالاكباد نحملها ... نصونها منهم فيها ونحميها
٣٥٧ ـ هذي القلوب جعلناها نواديها ... وزين القلب ان القلب ناديها
٣٥٨ ـ ولاية ملأت برّاً جوانحنا ... فالبر والخيرُ من ادنى معانيها
٣٥٩ ـ دين وتقوى لعمري أن نقرّ بها ... ونعمة الله انا من مقرّيها
٣٦٠ ـ هذي الولاية لا نرضى بها بدلاً ... غالي الجواهر لم يبدل بدانيها
٣٦١ ـ ولاية لاينال السوء تابعها ... ولن يذوق نعيم الأجر عاصيها

علي وعائشة

٣٦٢ ـ واغضبة الشعر أقلامي معطلة ... تميل عني وتعييني قوافيها
٣٦٣ ـ اردتها كعباب اليم زاخرة ... فأقفرت .. ورمتني في صحاريها
٣٦٤ ـ جفّت على الطرس لم تترك به أثراً ... كأنني بمدادي لا أغذيها
٣٦٥ ـ رأت يراعي يغني الكيد قافية ... فشاعت الجدب حتى لا أغنيها
٣٦٦ ـ أميّ بحبّ بنيها جدُّ مولعة ... وعز أبنائها اقصى أمانيها
٣٦٧ ـ أميّ تضم بنيها لاتفرقهم ... ولا تفوت معاليهم مساعيها
٣٦٨ ـ فما لبنت أبي بكر مروّعة ... تسير بالفتنة الكبرى وتصليها
٣٦٩ ـ جرّت بنيها لغايات مضللة ... وفرقة جذوة الاحقاد تزكيها
٣٧٠ ـ شدت على الشيخ لم تحفل بتوبته ... ولم ترق لعين فاض هاميها
٣٧١ ـ أخو أمية لاه عن رعيته ... يدني قرابته منه ويعليها
٣٧٢ ـ قميص طه جديد لم يلم به ... بلىٰ ... وشرعة طه لاح باليها
٣٧٣ ـ عواصف من مرير النقد لاذعة ... أمي وامك بين الناس تحكيها
٣٧٤ ـ تثيرها في ثغور البيد عاصفة ... عرش الخليفة شلو في سوافيها
٣٧٥ ـ زوج الرسول تجر المسلمين إلى ... حرب عوان فماذا تبتغي فيها
٣٧٦ ـ للأم ستر فما للامّ تطلبها ... هوجاء تطغى يشيب الرأس طاغيها
٣٧٧ ـ انظر إليها تهادت فوق عسكرها ... بين الرجال وكم يؤذي تهاديها
٣٧٨ ـ زوج الرسول تريد الحرب قاتلة ... لم لا تشد على النيران تطفيها
٣٧٩ ـ هل بيعة المرتضى قضت مضاجعها ... فهبت الثورة الاولى تثنيها
٣٨٠ ـ وقادت الجيش غلاباً ومضطرباً ... كأنه القدر نار الثأر تغليها
٣٨١ ـ ترجين ثأراً وإنا منك نطلبه ... النفس بالنفس شرع الله يجزيها

٣٨٢ ـ علا نداك وصوت منك مرتفع ... تـالبت ثـورة هـالت غـواشيهـا
٣٨٣ ـ ألم تريدي له قتلاً وواعجباً ... تلـك المقـالات قـوليـهـا وزكيهـا
٣٨٤ ـ وأول القول لم يبلغه آخره ... قـوادم الطير خـير من خـوافيهـا
٣٨٥ ـ لاتنكري ستر ماحاولت من عمل ... هـذي المكـايـد لاتخفى معـانيهـا
٣٨٦ ـ لو ان غير أبي السبطين أحرزها ... لمـا رأتـك من الهيجـا مـرائيهـا
٣٨٧ ـ كلاب حواب هل تنسين نبحتها ... لاتغفليهـا فمـلء السمـع داويهـا
٣٨٨ ـ أما ذكرت عن المختار قولته ... ونحن عنـك كما حـدثت نـرويهـا
٣٨٩ ـ لا أذكر الحرب يلوي من نواجذها ... ابـو تـراب ويجلـو من دواجيهـا
٣٩٠ ـ تلك البطولات أمجاد إذا نسيت ... يـومـاً إليـه تـراءت تنثني تيهـا

الشاعر

الأستاذ الشيخ حمدان بن الشيخ عيد بن الشيخ ديب بن سعيد بن علي الخيِّر ، ولد في القرداحة في شباط سنة ١٩٣٥م ، نشأ نشأة عصامية ودرس لدى الكتاتيب وأكمل الدراستين الابتدائية والاعدادية ، وعين معلماً ، انصرف الى القراءة منذ نعومة أظفاره ، وتأثر بشاعرية ابن عمه المرحوم محمد حمدان الخير ، كتب أول قصيدة عام ١٩٥٠ وله ديوان شعر مخطوط ، زرته في منزله مساء ١٩٩٠/١١/٢٣ وقضيت أمسية سعيدة عنده قرأ لنا فيها نماذج من شعره ومن بين ما قرأه هذه الأبيات التي أنشدها بطريقة مؤثرة يهش لها السامع تشبه طريقة (الحدي) عند العرب :

يـارب وفّق لما تـرضى بـه عمـلي ... ولـقني الـبر في سـعيي وفي شغـلي
هـذا كتـابي لم أكتـب بـه عـمـلا ... سـوى ولائي أمـير المؤمنـين عـلي
جـعـلت جـوهـر ايمـاني محبـتـه ... هـواه ديـني وفيـه منـتـهى أمـلي
كـرّمت قلبي بنـورٍ مـن ولايتـه ... فـهـل تُلمّ بقلبي ظلمـة الـزلـل

وأنشد أيضاً مشيراً الى لزومه منزله بسبب مرض ألمّ بساقه :

أروح وأغـدو في رحـاب قـصـيّـةٍ ... ولـكن (سـاقـي) لا تـروح ولا تـغـدو
أروح إذا مـا جـاءهـا الـشـدُّ عنـوة ... وتثبت كـالأحجار إن فـاتهـا الشـدُّ
دعـائي لهـا لم تنتفـع منـه لحـظة ... فهـل عادهـا مما دعـوت لهـا الضـدُّ ؟
لـك الحمـد يـارب إذا مـا شفيتني ... وأيضـاً إذا لم تشفني فلك الحمـد

ثم أنشد بعض علويته التي نظمها مباراة للقصيدة العمرية للشاعر المصري (حافظ ابراهيم) ثم قدّم نصّ القصيدة كاملة للنشر في مجلتنا كما هو مثبت في هذه الصحائف ، رفع الله درجته ووفقه لما يحبه ويرضاه .

(الموسم)

فيلسوف من جبلة

أحمد محمد حيدر

(١٣٠٨ ـ ١٤٠٥هـ)

ولد العلامة الفيلسوف أحمد محمد حيدر في قرية «جلة عازار» من منطقة جبلة في محافظة اللاذقية الجمهورية العربية السورية عام ١٣٠٨ هـ الموافق ١٨٨٨ م.

نشأ وترعرع في بيت تقى وعلم فورث عن والده ـ رحمه الله ـ الورع والتُقى وعلو الهمة وشيئاً من ثروة حاول في البداية تنميتها ثم المحافظة عليها فلم يوفّق فكان ذلك عنده «أعظم التوفيق»[1] إذ بدأت كفة ميله إلى العلم ترجح. فدرس التركية في صباه حتى أجادها، كما أجاد العربية، نحوها وصرفها من خلال الكتب التي كانت شائعة في عصره «كالأجرومية وغيرها». وقد ولع علامتنا الجليل في فجر حياته بالأدب أيّ ولع، فقرأ روائعه ودرس سير أعلامه. وبفضل ذكائه الثاقب وحافظته القوية فقد تمكّن من حفظ الكثير من عيون الشعر وبديع الخُطَب وبخاصة خطب نهج البلاغة، كما وعى أخبار الأعلام من روّاد الأدب العربيّ والعالميّ، إذ لم يعزلْ نفسه عن الأدب العالمي فقرأه مترجماً. لكن ولعه بالأدب لم يقللْ من رغبته في الفهم والعرفان، ولم يخففْ من شوقه إلى البحث والتحري، ففي كلّ كتاب يقرؤه ومع كلّ عالم يلتقيه كان يتطلّعُ إلى معنىً وراء الكلمات يشبعُ لهفته ويروي ظمأهُ إلى المعرفة لكأنّ لعلامتنا موعداً مع الغيب ينتظرُه. وهكذا راح الفتى ينجذبُ رويداً رويداً إلى ميدان العلوم الإلهيّة رغبةً في معرفة بواطنها، ووصولاً إلى فهم خفايا الأسرار. ولم يطلْ بعلامتنا الزمن حتى غدا في طليعة العارفين الإلهيين، وشهد له بالتقدم معاصروه من العلماء الأفاضل، وقد آنس من نفسه ـ رحمه الله ـ هذه المعرفة الواسعة . . . . فتصدى لواحدٍ[2] من أجلّ الكتب الصوفية المخطوطة فشرحه وحلّله وقرّبه بذلك إلى أفهام الناس وسهّلَ عليهم تناوله. وأفادَ الشيخُ مما في الكتاب من عرفان فاتجه إلى

---

(١) كان المرحوم يردد هذه العبارة كثيراً ويحمد الله لتفرغه العلمي المحض.

(٢) هو كتاب تسبيه مؤلفه الصوفي حسن بن حمزه الحيراري.

﴿الشيخ أحمد محمد حيدر/ قدس سره﴾

نفسه يفتشُ في خباياها ليدركها ويبحثُ في جسده ليعلمَ ما هو ؟ وكيف وُجِدَ ؟ وأخذ يتساءلُ عن العلاقة القائمة بين نفسه وجسده ، كيف التقيا ؟ وما مصيرهما إذا افترقا ؟ وهل يصيران إلى الفناء ؟ أم إلى الخلود ؟ ثم أجال بصرهَ فيما حوله فتساءل عن الموجوداتِ كيف وجدت ؟ ومن أوجدها وهل تعرفُ موجدها ؟ وكيف تعرَّفت إليه ؟ ثم ما علاقةُ هذه الموجوداتِ به ؟ هذه الأسئلة وغيرها طرحها علاَّمتُنا الشيخُ على نفسه في رحلته للكشفِ عن أسرارِ الحياة والروحِ والخلق والخالق . وكان يجد في طرحها والسعي لإيجاد الإجابة عنها لذةً تفوق عنده كل لذة ، وسعادة لا تدانيها في نظره سعادة . وقد اهتدى علاّمتنا الشيخ إلى مكان وجودِ الإجابة عن أسئلته فيمَّم شطرها مستسهلاً في سبيل ذلك كلَّ أنواع الصعاب ، فتوجه إليها واجاً إلى حماها من بابها المشرع في رسالاتِ الأنبياء ، تلك الرسالاتُ السماوية التي جاؤوا بها وأذاعوها على الناس جهاراً أو التي كتموها مكتفين بالإشارة إليها ، كما وجد شيئاً من الإجابة عن أسئلته عند الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الذين هم وحدهم تأويل القرآن ـ إذ هم ثقله الثاني ـ وقد أتاهم الله ملكةَ الكشف وأفهمهم معرفته فأعلنوا بعضها دونَ تحفظٍ واكتفوا بالتلميح إلى بعضها الآخر صوناً للحكمة أن تعطى لغير مستحقيها ، ووجدَ بعضَ الأجابة عن أسئلته عند العلماء الإلهيين والفلاسفة الروحانيين فأخذ عنهم أيضاً ، ولم يعرْ سمعاً لأقوال الجاهلين فقد كانت الحكمةُ ضالته وشعارُه الدائم :

إن المذاهب كلُّها نورُ الهدى كأشعة الشمس افترقن إلى مدى
ولقاؤها في مصدر الأنوار

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وهكذا فإنَّ علاَّمتنا الشيخ في بحثه الدائب عن المعرفة قرأ القرآنَ الكريم وتفاسيره المتعددة ، وقرأ الإنجيلَ والتوراةَ واطَّلع على الفكرِ اليوناني وعقائدِ المصريين القدماء وأساطيرِ الهنودِ والعلومِ العصرية ، ثم حطَّ الرحالَ في حديقةِ الأميرِ حسن بن مكزون السنجاري ومزج بين ما وجدَ لديه وما هو عند الصوفي الجليل حسن بن حمزة الشيرازي والشيخِ الأكبر محي الدين بن عربي حيث تمكنَ في نهايةِ الأمرِ من الوصولِ «إلى نظريةٍ في وحدة الوجود ، من خلال صياغةٍ شملتْ كلَّ النظرياتِ السابقة ، محققاً ضرباً من التزواجِ بين نظريةِ الفيضِ أو الصدور ونظريةِ نور الأنوار والتجلي الإلهي . معتمداً بنفس الوقتِ على معطياتِ العلم الحديث ، وهنا تبرزُ عظمتُه كمفكرٍ عربي إسلاميٍ من الدرجة الأولى في العصر الحديث[٣]» .

قرأ علاَّمتُنا الشيخُ في رحلةِ عرفانهِ التنبيهَ وفصوصَ الحكم ومفتاحَ الغيب والوجود ورسائلَ إخوان الصفا والجامعة ومفتاح الغيب لصدر الدين القونوي ومشكاة الأنوار للغزالي ، وبيان السعادة لسلطان محمد الجنابذي وعلومَ الفلكِ والفيزياء . قرأ كل ما وصلتْ إليه يداه قراءةَ المتمعنِ المتبصرِ فحصَّل من المعرفةِ أطايبها . ولما امتلأتْ نفسُه بكنوزِ المعارف طلعَ على الناس مؤلفاً في العلومِ

(٣) محمد الرشد : وحدة الوجود في الفكر العربي ٢٢٨ ، دمشق ١٩٨٥ م .

اللا هوتية فأغنى الفكرَ الإنساني بأعمقِ المعارف وأجلّها ورفَد الحضارةَ البشريةَ بأسمى المفاهيم اللا هوتيةِ وأرفعها ، فكان ذلك صورةً لعقله النيّر وفكره الثاقب ونظره الثاقب . ففي الوقت الذي كان فيه العالمُ يقف متسائلاً في حيرةٍ ودهشةٍ حول صعود السفينةِ إلى القمر كان يردد بمنتهى الثقة واليقين : **«من زعمَ أن العلمَ يتنافى مع الدين فقد بلغَ من العلمِ مبلغ الرعاع ، ونال حصة الأعمى من الشعاع»** .

لقد كان علاّمتُنا الشيخُ رجلاً مؤمناً ـ إيمانُه مشيّد على قاعدةِ الفهم الحقيقي الراسخِ لأبعادِ العلوم العصريةِ وربطها بما يشيرُ إليها من حقائق أصولِ الدين الإسلامي ، وكان يثقُ ثقةً مطلقةً بأن ما يكذبُه بعضُ رجالِ الدينِ اليوم جهلاً به ، سيغدو بديهةً لدى شبابِ الغد الذين هم كتبَ وإياهم خاطبَ وعنى ولأجلِهم ضحّى ، وذلك إيماناً منه بسنّةِ التطور التي هي سنّةُ الحياةِ ، وانتصاراً للحق والحقيقةِ رفضَ البدعَ والانغلاقَ والتقوقعَ وأصمَّ سمعَه عن السفاسف ، متحلياً بأخلاق العلماء ، مترفعاً عن صغائرِ الأمور التي أثارها الجهلةُ من مدعي التديّنِ المتسمينَ ظلماً رجالَ الدين وكان يعلمُ أنّهم عن مكاسبهم لا عن الدينِ يدافعون ، وكثيراً ما عابَ على رجال الدينِ (من مختلف المِلَلِ) المفاضلاتِ التي يعقدونها بين مذاهبهم معلناً أنّ الدينَ لله وأنّ هذه المفاضلاتِ تدلُّ على ضحالةِ الفهم وقلّةِ المعرفةِ وكان يقولُ : على أنني اجتهدتُ أن أرى بدعةً كُوِّنَتْ إلاّ عن تحريفِ أصلٍ فلم أجدْ ، وجميعُ من تكلّم عن الأديانِ القديمة سواءٌ أرادَ المتكلمُ فهمَ التعرف على الدين فقط ، أم أراد إدانته أو مدحه ، كلهم نعرف (من تتبعهم) أن جوهرَ الأديانِ واحدٌ مهما اختلفَ مظهرُها وتباينتْ مشاربُها . على أن مما لا شكَّ فيهِ أن الأصلَ الذي لا يتسمح متزمتو رجال الدين أن يمسَّ ولو بذلُوا في سبيله كلَّ أصل ، إنّما هو عوائدُهم اللا أصولية والتي وقفَ علاّمتُنا الشيخ حياته لتهديمها ، موطناً نفسَه لكل ما يلقى أمثالُه من أمثالِهم ، فكان بين ممحص لمفهومٍ أو موضحٍ لمعضلةٍ . مُدافعاً عن رأيٍ أو نابذاً لمعتقدٍ فاسد بلغةِ الأديب المتمكنِ ولهجةِ العالِمِ المطمئنِ وسكينةِ العظيم المترفع عن السفاسفِ في القول والعمل . وقد ظلّتْ هذه سيرتَه طيلةَ حياته حتى وافاه الأجلُ ، ولبى داعيَ ربّه في السابعِ من شهر آذار عام ١٩٧٥ م تغمده الله بواسع رحمته وأسكنَهُ فسيحَ جنّته .

مؤلفاته

خلف العلاّمةُ الشيخ أحمد محمد حيدر عدداً من المؤلفاتِ بعضُها كتبٌ طوال ، وبعضُها رسائل صغارٌ . منها ما يتناولُ صلبَ عقيدةِ التوحيد ، كما جاءت على لسان الشارع العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وآل البيت المعصومين عليهم السلام ، وفي القرآن الكريم وبالنقل عن المحدثين الثقاة . ومنها ما يبسطُ فيه المؤلف المشكلات الفلسفيةَ الدقيقةَ كما يراها العقل والفلسفة ، محاولاً أنْ يمزجَ بينَ العلوم الإلهيةِ والعلومِ المادّيةِ والشرعية . إضافةً إلى ديوان شعرٍ صوفي رفيعِ المستوى ، وهذه المؤلفاتُ كلُّها تدلُّ على علوِّ همةِ علاّمتِنا الشيخِ ورسوخ قدمه في المعارف الإلهية وتعمقه في استنباط الحقائق الدينية ومعرفة دقائقها . . يضافُ إلى ذلك ما تشيرُ إليهِ من مهارةٍ فائقةٍ على التأليف وصبرٍ على أعباءِ جَمْعِ المعلوماتِ وتقصي الحقائقِ وتدقيقها . وقدرةٍ على جمعِ هذه المتفرقات لتغدو كلاً منسجماً موحداً في غايته وأهدافه واليك ما وقع بأيدينا من اسماء كتبه :

أ ـ الآثار المطبوعة :

١ ـ ما بعد القمر : وهو يعالجُ ماديّةَ الروح وروحانيةَ المادة ، فالمادةُ لها روحٌ هي وجودها ، والروحُ لها مادةٌ هي شكلُها . وكلُ شيء غنيٌ بذاتِهِ عن أن يصيرَ غيره . ويستعير العلاّمةُ بعضاً مما توصل إليه العلمُ فيزوده بأجنحة الوحي والخيال ليقدمهُ للناس شراباً يستلذه الواردون ـ وقد طبع هذا الكتاب القيم مرتين الأولى عام ١٩٧٢ م والثانية عام ١٩٨٤ م .

٢ ـ النغم القدسي : وهو ديوان شعر صوفي رفيع المستوى . وقد طبع مرتين الأولى عام ١٩٧٢ م والثانية عام ١٩٨٦ م .

٣ ـ التكوين والتجلي ، الطبعة الثانية دار الشمال (طرابلس لبنان ١٩٨٧ م)

٤ ـ كتابُ الخيرات : وفيه يبينُ علاّمتُنا الشيخُ منزلةَ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده .

ب ـ الآثار المخطوطة :

١ ـ كتاب اضبطة : وفيه يعالجُ المؤلفُ قضيةَ الإنسان من غيب الوجود إلى وجود الشهادة .

٢ ـ كتابُ النفحات واللفحات : ويشرح مسألةَ الخلاف بين علاّمتنا ورجال الدين في عصره .

٣ ـ تناثرُ الأوهام : وفيه يحاولُ العلاّمةُ ـ نصر الله وجهه ـ تبديدَ الأوهام المتعلقة بقدسية الكواكب وخاصةً القمر .

٤ ـ الدامغُ : ويشرحُ فيه علاّمتُنا الشيخُ موضوعَ النور والظلمة وما أثير حولهما من جدال بين علماء الدين في كل زمان .

د ـ شرحُ التنبيه : وهو دراسةٌ وتحليلٌ لكتاب التقيس المعروف «بالتنبيه» لمؤلفه الصوفي الشهير حسن بن حمزة الشيرازي ، من أبرز متصوفي القرن السابع الهجري . ويذكر مريدو علامتنا الجليل أنَّ له أثراً آخر هو «فلسفةُ العلويين» (وهو مفقود) .

هذه جملة الكتب التي ألّفها العلامةُ الشيخ أحمد محمد حيدر ، يُضافُ إليها العديدُ من الرسائل الإخوانية التي تعالجُ موضوعاً معيناً أو عدةَ موضوعاتٍ عرضتْ أيامَ المؤلف رحمه الله .

ضريح ومسجد العلامة احمد محمد حيدر

مرافىء النور

قصيدة الشاعر الكبير ادونيس في رثاء العلامة الشيخ أحمد محمد حيدر

شمسانِ شمْسُكَ لم تَغْرُب وشمسُ أبي ... هما فَضائي فضاءُ السَّبق والغَلَبِ
تَعانَقَ الأرضُ والذِكرى على اسمكما ... من بَهجةٍ كعناق الماء والعشبِ
كلاكما قال للأيامِ جانِحةً ... تَمَسَّكي بِشُعاع الحُبِ وانجَذِبي
كلاكما قال والأنسابُ في حَرَجٍ ... أقمتُ بين طريقي والضحى نَسَبي
لم تأبها لِغَنِيٍّ أو لباغيَةٍ ... بالمالِ يَكبرُ أو بالتاجِ مُعْتصِبِ
ولم تُراعا زمانَ الرُّعبِ يومَ طغى ... طاغٍ ويومَ اصطِكاك الأرضِ بالرُّكبِ
حملت سِرَّكما سِرْنا معاً وعلى ... آفاقنا مِثلُ نور الآية العجبِ
مِنَ الظلامِ لفجرٍ لا حدودَ لهُ ... من الرمادِ لزهوِ المرتَعِ الخصِبِ
قلنا لآلامنا : كوني مراكِبَنا ... واستنفري شررَ التكوينِ واصطخبي
تقحمي ظُلَمَ التاريخِ وافتتحي ... مرافىءَ النورِ في أمواجهِ الحُدُبِ
أنتِ الأمومةُ تحنو كي تجيشنا ... نحنُ الطليعةَ من أفراخِها الزُّغُبِ
بلى . نزعنا جلابيباً وأقنعةً ... عن الضياءِ رميناها إلى اللهبِ
بلى . . رفعنا منارات وأشرعةً ... للمُدْلجين وقلنا للغدِ : اقتربِ
وكم سَبَقْنا وخلَّينا لمن قعدوا ... على ضفاف خُطانا لذَّةَ التَّعبِ
نبني . . نأسسُ . . نستقصي مسالِكَنا ... في غِبطةِ الفتحِ لا في غبطةِ السَّلبِ
مُؤيدينَ كأنَّ الريحَ قافِلَةٌ ... منا تجدِّدُ وجهَ العالَمِ الخَرِبِ
ربَّيتُ جُرْحِيَ طفلاً ما أزالُ أرى ... بقية من دمي في وجههِ الشَحِبِ
رَميته في طريقِ الهولِ مُتَّشِحاً ... ببردةِ الحلمِ تياهاً على النوُبِ
يُطِلُّ كالعصفِ غلاباً أخا ظفرٍ ... في سَيْرِهِ الهَيْدَبِ أو سيرهِ الخَبَبِ
وما يزالُ تَرُجُّ الأفقَ ثورتهُ ... وتستطيلُ أغانيهِ على الحِقَبِ
أنا هو الجرحُ أعطيتُ الرجاءَ غدي ... وأنجمي ، وقتلتُ الدهرَ بالغَضَبِ
ألقيتُ من دونهِ ظلي فتلكَ يدي ... وذاكَ وجهي ، وهذي حَولَهُ حُجُبي
أعيشُ من كبريائي في مُمَنَّعَةٍ ... ومن يقيني ، غدي في مَعْقِلٍ أشِبِ
من هذه الذُروات الشُمِّ مُغْتَرِبي ... لهذه الذروات الشمِّ مُنْقَلَبي

حَضنتُ أغوارها رعداً وزلزلةً ... وتهتُ باسمِ أعاليها على السُّحُبِ
ويا أحبائي استسلمتُ مثلكمِ ... لِسِحْرها لغوى أردافها الكثبِ
نغيبُ كالشمسِ غابت كي تعودَ غداً ... ونلْتقي كلقاءِ الهُدبِ بالهُدُبِ
ويا أحبايَ كنتمْ في دمي لُغتي ... وكنتمْ في مداراتِ الخُطا قُطبي
قرأتُ : أنتمْ تباشيري وأخيلتي ... كتبتُ : أنتمْ حروفي أنتم كُتُبي
كنتُ الوحيدَ ، ولكن كنتُ في شغفٍ ... بكم ومن فرحٍ ، في عسكرٍ لجبِ
كأنَّ جسميَ مما خاضَ مُتكأ ... لكلِّ رُمحٍ وسيفٍ راعِفِ الشُطبِ
أنا اليدُ استأصلت والضربةُ افتتحت ... الأفقَ من خُطْوَتي والأرضُ من تعبي
وكنتَ أنتَ مدى أشرعتهُ وطناً ... لتائهِ العلمِ أو للحائرِ النُّصبِ
وما انتصرتَ لغيرِ الحقِّ مُعْتصماً ... من الضلالِ ولم تخضع لِمُغْتصبِ
تُجابهُ الناسَ فوضى صدرهم عُجُزٌ ... والوجهُ قادمةٌ ، والرأسُ في الذَنَبِ
لم تجعلِ الأصلَ ميراثَ الزمانِ ولم ... تجنحْ إلى وهجِ الألقابِ والرُتبِ
علوتَ تجمعُ بحراً لا قرارَ لهُ ... والآخرونَ طفَوْا في فورةِ الحَبَبِ
تسمو على لغط الدنيا وتزجُرُها ... لا لستَ من أربي لا لستَ من طلبي
نزعتُ كفيَّ من كفيكِ مُزدَرياً ... فلستِ من قصتي نغوي ولا ذهبِ
ولستِ إلاَّ رغيفاً .. كل مُطلبٍ ... سواهُ نافلةٌ من زُخْرفِ اللعبِ
ولا أبالي بما أضمرتِ من زمني ... إن شئتِ فابتهجي أو شئتِ فاكتئبي
كأنَّكَ الضوءُ منذوراً لطالبهِ ... في حاضرٍ من دياجيهِ ومُرتقبِ
يشعُّ فكرُكَ وهاجاً على ثقةٍ ... كبارقِ الحَدْسِ لم يُخْطِئْ ولم يَخِبِ
نارٌ لمن تاهَ ، إن خفَّت أو ابترَدت ... وضعتَ قلبكَ فيها مَوْضِعَ الحَطَبِ
لمثلِ ذلك ثار الفكرُ ثورتهُ ___ لمثلِ ذلك كانت صَبوَةُ العَرَبِ

● منظر من حلة عارا ويبدو من بعيد مسجد العلامة احمد حيدر

أفل البدر

○ للشاعر نوفل عمار*
(بانياس)

في رثاء العلامة أحمد حيدر

كفّروني .. لأنني قلت أحمد ... كان بحراً من العلوم وفرقد
يملأ الكون بهجة .. وضياءً ... كالبدر الدجى .. لجيل تمرد
آثر الزهد في الحياة طريقاً ... وعشق اللهو .. والمجون تجرد
إذ رأى الجهل زاحفاً .. فتصدى ... لذوي الجهل .. والبراع تقلد
فجلا الليل عن عيون الحيارى ... وطوى العمر كله .. يتعبد
حكم العقل .. واصطفاه رفيقاً ... واقتفى نهج جعفر ومحمد
مصحف الحق ذخره .. يوم ترجو ... كل نفس لها .. مقاماً مخلد
عاف سقط المتاع .. لم يبتله ... بقشور الحياة .. أو يتقيد
لم يكن موسراً .. وكان ثرياً ... لم يكن ناسكاً .. ولكن تزهد
ما بنى سامقاً .. يروم الثريا ... أو حوى فضة ودراً وعسجد
حسبه منزل .. أليف كتاب ... صحبه معشر كريم موحد
هذه شيمة الفقيد .. فأكرم ... بضريح .. به الفقيه توسد
أجزل الله أجرة .. حيث أمسى ... وحمى فرعه الذكيّ وأيّد
وقفة الحق .. للمحق .. بلاء ... حينما يصبح اليقين .. مهدد
كل رأي يموت في المهد طفلاً ... وصرير اليراع صوت مؤيد
أي إثم جنى التقي ليحظى ... من ذوي الإثم بالسباب ويجحد
جهزوا حملة عليه .. وعاثوا ... بيننا فتنة .. وكرهاً مفند
واستعانوا عليه .. بالقول شورى ... أي شورى مع الحقيقة تشهد
ولقد آلت الخلافة .. زوراً ... لفلان .. وكم فلان . تجدد

* * *

لقبوه ـ أبا ذهيبة ـ ظلماً ... وادّعوا .. أنه البعير المعبد

---

* من مواليد بانياس سنة ١٩٥٠ ، كتب في الصحافة المصرية واللبنانية ، يتلقب بـ «طاغور» وله ديوان شعر تحت الطبع .

بيغاوات .. لقنتها الجواري قولة بخسة .. فباتت تجود
أمِنَ الفخر أن يسبَّ شهيداً جاهل أرعن .. وطفل ومقعد
عادة الشتم .. للنساء سلاح وسلاح الرجال .. حد المهند
ينضح الظرف محتواه .. وكل عائد .. للذي عليه .. تعود
لا يضير الشموس إغضاء طرف أبصر النور ضحوة .. فتجسد
ذروة الحقد .. أن يُذمّ فقيه شاد صرح الهدى وأغنى ووطد
ثمل الكفر .. من سلافة كرم فمضى تائهاً مضلاً .. وعربد
مرسلاً صرخة .. تهيم .. بوادٍ وصدى الصوت في الفضوح يردد
لو أضر النباح نجماً مشعاً سقط النجم .. أو .. بدا الكون أسود

* * *

أيها المرء .. إن أردت صراطاً مستقيماً .. الى الفلاح .. تشهد
واجعل العلم قاسماً .. بين رهط بسامي .. وبين رهط معقد
سر الى دوحة الخلود .. بوعي مستنير .. من الجنان .. توقد
وتأمل شفا الجحيم .. أتلقى غيرك .. من بعض الإله .. وجسد
معشر الناس .. إثمكم .. غير باقٍ أين دار .. ترى أقر .. وأرغد
شغلتكم مفاتن الأرض عمراً فاتقوا الله .. توبة المرء .. أحمد
واحفظوا ذمة النساء لديكم وصلوا النساء منكم تبدد
علموهنَّ .. أن يقمن .. صلاة هكذا .. أوعز الكتاب .. وأكد
ليس بالسلب والتنابذ .. أجر إنما .. الصدق والهداية أسعد

* * *

من رأى منكم الصراحة جرحاً بين عينيه .. فليقل .. لست أقصد
ساءني الخلف بينكم .. فدعاني مبدأ الحب .. للجهاد .. وشدد
بعضنا .. يبصر الإله .. عياناً وهؤلاء .. رأيهم .. غير مسند
ضمنوا الشكل .. غاية .. لا تسمى كل شيء يضمُّ شيءٌ مقيد
أقل البدر .. فابحثوا .. عن إله غير ذاك الذي تولى وأنجد
ودعوا الشمس والكواكب تسري في فضاء من الأثير .. ممدد
تارة تختفي .. وطوراً تهادى كقطيع من الظباء تشرد
إن شكلاً مسخراً .. ليس إلاَّ صنعة كوّنت .. لأمر محدد
كل من قال : قد رأيت إلهي لحظةً .. طالما .. أشار وحدد
لا تشر صاح .. من أشار إليه جزأ الله .. والجزيء .. تعدد
هذا قول .. أخذته .. عن عليٍّ حسبك الله .. فاهتدِ وترشد
ليس لله .. في الوجود شبيه إنما الله واحد .. فرد سرمد

* * *

بين الموت والحياة*

للشاعر الفحل : محمد حمدان الخير (القرداحة) .

إنَّ الـذي خلق الـوجـود جميلا ... جعـل الحياة الى المـمات سبيلا
تتـسـابق الأحيـاء نحـو فنـائهـا ... أتـرى تغيب شخـوصهـا لِتؤولا
تـأتي ومـا إن تـستقـر إقـامـة ... لم تبنهـا لتقيم بـل لتـفيـلا
ثبت خـطاك هنيهـة فكـأنني ... بك قد عثرت وما وجدت مقيلا
سبحان من خلق العباد فإن مضوا ... للموت جاء بـآخرين بـديـلا
مـا أعجب الأقـدار في تصريفهـا ... واقفتهـا وفـعـاً بـنـا وحـلولا
تعـدو على الاطفـال في أحضـانهم ... وتـزيـد في عمـر المعمر طـولا
ظمـأى سقاهـا الكون من احيائه ... مـا دُبَّ فيـه فلم تبـل عليـلا
أيجير منها الطب وهو على شفا ... هلك يـراقـبُ أن يخـرَّ جـديـلا
لا يفخـرنَّ فكم تصيب فسيلهـا ... كبـد الطبيب وكم تفوت عليلا
داء النفـوس إذا ألمَّ بـسـاحـة ... وقف الأساة لديـه عـزلاً ميـلا
قـل للقـوي دع التـحـرز إنها ... تُـردي السمين وتمهـل المهـزولا
قـدر إذا حُمَّ القضـاء بـه انتهى ... من عـادي لا يقبـل التـأجيـلا
اولى لك ابن الطين لا تفخر به ... نسبـاً فلست إذا انتسبت أصيلا
من كـان من حمأ جبلتـه فمن ... أي الشـوائب لم يكن مجبـولا
لـولا وجـود العقـل فيك وفضله ... في العـالم الثـاني لكنت فضـولا
هـو نعمة الله السنية في الـورى ... وهـو اليـد البيضـاء منه الـطُّولى
عمَّت فـواضلهـا فـما من كـائن ... إلا وراح بـخـيرهـا مشـمـولا
والعقـل معصوم وليس بعـاقـل ... من لم يكن عن غيِّـه معتـولا
والله مـا وهب الحصـافـة لامرىء ... لتكـون مكـراً فيـه أو تـدجيـلا
والمـرء مـا لم يعـظم الخـلاق في ... عينيه كـان العقـل فيه ضئيـلا
جـلَّ الـذي خلق الـسـماء وزانها ... بـالشهب والأرض الفضـاء ذلـولا
ذرأ الـعبـاد مجـرداً ومـركـباً ... وحبـا البعـوضـة رزقهـا والفيـلا

---

* في رثاء المرحوم الشيخ محمد حسن حرفوش تغمده الله برحمته

* قدمها تلميذه الدكتور محمد حديد الأستاذ بجامعة طرابلس (اللاذقية) .

سبحان ذي الآلاء ما أحصيتها ... عدّاً ولا وفيتها التبجيلا
يا أيها الانسان حسبك ضلة ... أن لا يرى ظل الحياة ظليلا
رفّت عليك مطلة بشروقها ... فاختار جهلك ان يكون أفولا
هلاّ اهتديت وكم دعتك الى الهدى ... حيناً فيالك غاوياً ضلّيلا
أنفقتها سرفاً ولينك سألذي ... انفقته في الغي كنت بخيلا
لا تبذلنّ نفيسها لخسيسها ... فالخير أن لا تعرف المبذولا
وارتد لها بلداً أميناً طيباً ... لا تبغه جمّ الوباء وبيلا
عنيت بتطهير النفوس وصقلها ... فعلام تخبث لا تكون صقيلا
والناس عنها يصدرون جواهراً ... مجلوة والأكثرون وحولا
هي والمنية دائبان كلاهما ... يتجاذبان اليأس والتأميلا
إن خفّ أهلُ مربع الوى به ... روح الحياة فردّه ماهولا
أبداً تديل من المنات فما ترى ... عند المنات لها دماً مطلولا
ناء الوجود بغالبين تنازعاً ... شيئاً وياء كلاهما مخذولا
كل بتقدير الإله وعدله ... بجزين وجيفاً تارة وذميلا
زعموا بأن الجسم فانٍ زائل ... والنفس تخلد لم تكن لتزولا
كل يؤوب الى الهيولى عائداً ... بعد النوى ان التراب هيولا
إن قلت أصبح آهلاً بمكانه ... رسم فقد تمسي الربوع طلولا
والنفس تسكن منزلاً فاذا بنا ... بالنفس فهي تبادر التنقيلا
والنفس تمثل بالجسوم ولن ترى ... في غير جسم للنفوس مثولا
تبدو بشكل غير مأمون البلى ... وتحور تلبس في الوجود شكولا
والجسم قيد النفس ما اقتربت به ... إلا لتمحو سيئات اولى
عوض من الأسباخ شيب بجوهر ... فأتاك بخطر حاملاً محمولا
والنفس لا تنفك من عقالها ... حتى تكون من الذنوب غسيلا
ترقى إذا هي شرقت ، أو أظلمت ... تهوي الى الدرك الأحط سفولا
والجسم قبر النفس منه بعثها ... ونشورها أتظن ذا معقولا
من مات عن جيل ولو يوماً فقد ... قامت قيامته ويبعث جيلا
ويقال تحبس في القليب مقيمة ... لا تعرف الثأمين والتهويلا
تغفو هناك فلا تصبح هاتف ... إلا لنفخة صور اسرافيلا
هابيل حتى الان في دمماسها ... رهن الثواء مجاور قابيلا
في بُرْزُخٍ للغيب لا تلفي به ... طرفاً بنعماء الوجود كحيلا
وجدت ملياً واستحال وجودها ... عدماً وتولى في غد ما تولى
فالنار مثوى الاتقين وغيرهم ... متأبط حوريّة وشمولا
رضي الثواب على تقاء أمرد ... حلو الدعاب وغادة عطبولا

إن كان عدل الله ذاك فربما ... أعيا وأفحم سائل مسئولا
أترى يحاسب من قضى في مهده ... كالهمّ قضى عمره المرذولا
والله أعدل ان يخلد في لظى ... من لم يشمّ هوى الحياة بليلا
وإذا المثوبة منه كانت متعة ... للجسم لم يكن الثواب جزيلا
كم ناعم لا يشتهي بنعيمه ... في الأرض عنه في الجنان بديلا
تأبى النفوس الساميات لغاية ... علوية بعد الصعود نزولا
آمنت بالذكر الحكيم وأنه ... من ذي الجلال منزل تنزيلا
ما فيه من عوج ولكن حيل ما ... بين الصواب وبينهم ماحيلا
اخذوا بغير هدى فإن عاتبتهم ... عاتبت من يطغى عليك عذولا
يستبرم الاسلام مما أوّلوا ... غيظاً ويختبىء الكتاب خجولا
دع ما روى عمرو وقاتل حمزة ... وأبو هريرة واعتبره دخيلا
اضفوا على الفرقان من تقييدهم ... وعلى الحديث حواشياً وذيولا
والله ما كان الذي زعموه من ... قول النبي بريقه مبلولا
ان الصحيح هو السقيم إذا روى ... عن عصبة الإفك الحديث نقيلا
واهاً على الاسلام إن يك أمره ... لمنافق أو فاسق موكولا
العلم ما أدّاه آل محمد ... عن أحمد المختار عن جبريلا
لولا الامام المرتضى وقف الحجى ... لا علموا أنى الصواب سبيلا
متململاً يبكي على الاسلام لا ... يألوه تأبيناً ولا تأبيلا
النار والفردوس رمز فاتئد ... في فهمه إياك والتعجيلا
رمز جلاه الراسخون وغيرهم ... مُتعسّفٌ لا يعلم التأويلا
توراة موسى كالزبور تصونه ... والذكر فيه يوافق الانجيلا
ما في جنان الله ولدان ولم ... ينبت ثراها كرمة ونخيلا
علم اليقين عداك فاسرح هائماً ... بين المجاهل والهاً مخبولا
لو كانت الفردوس حوراً نُزّعاً ... متصديات يبتغين فحولا
لرأيت أغنى الفائزين مثوبة ... في الخلد أعظم أهلها إحليلا
أيكون في الأخرى ثوابا ما نهى ... عنه الإله عباده في الأولى
يا موجفاً في الغي لا يصغي الى ... رشد ولا يلوي عليه تليلا
إن كنت لا تألو الضلالة سادراً ... فيها فليتك تقصر التضليلا
كشفت مظاهرك الحقيقة مثلما ... نم المشيب عن الخضاب نصولا
أعيا هواك على الهداة ولم تزل ... بعما الغواية والهوى مكحولا

* * *

لله فينا حكمة قل الأنى ... عرفوا لدقة كنهها تحليلا
من عهد آدم كلما قرب الحجى ... منها ذراعاً أبعدته ميلا

ولكم أراد العلم كشف قناعها ... وسعى اليه فلم يزل مسدولا
قام ، المعلم ، والرئيس ، حياتها ... بتكشفان الغامض المجهولا
هجما على السر الخفي فألفيا ... أمراً هناك من الأمور مهولا
أعيا الخروج عليهما من مغلق ... نفذ اليه وزاوله دخولا
نظروا اليها بالبصائر وانثنت ... أبصارهم دون الحقيقة حولا
والى ذويه ، الأشعري ، بمنقد ، ... لم يغن عنه من الضلال فتيلا
زعم الجسوم سوابقاً لنفوسها ... فاعجب لمن جعل الفروع اصولا
سل عن : تهافته : ابن رشد . إنّه ... رأيٌ راه . أبو الوليد . هزيلا
رأي رأيت العقل يهدمه ولا ... يبني على بُرهانه تعويلا
ما ذنب من ولدته أعمى أمُّه ... أو أبكماً ، أو مقعداً مشلولا
وعلام بشر تزدريه وخالقُ ... تُضفي عليه التّاج والإكليلا
زيدٌ قبيح الخلق أمّا صنوُه ... عمروٌ فصوّره الإله جميلا
كم فاضل أزرى به أقلاله ... وتفضل مالٌ كرم المفضولا
قد يُحرم الرزق المجد وكم سعى ... من لا يكد فأحرز المأمولا
إن قلتَ ذاك الى الطبيعة عائد ... قلت احتجاجك ما أصاب قبولا
أو يستطيع الكون يفعل غير ما ... في خلقه كان الإله فعولا
هذا التفاوت منه حيف ظاهر ... لولا محاسن تحسن التعليلا

* * *

ما آدمٌ بأبي البرية كلها ... لكنه قولٌ أريد فقيلا
رمز الكتاب به وقلّ من انتهى ... مغزاه منكشفاً له محلولا
انظر تجده اثنين في عين الحجى ... واسمين جنساً عاقلا ورسولا
دع ما ادّعيت فليس من سجدت له ... غير الملائك ظالماً وجهولا
من عُلّم الأسماء لم يكن عاصياً ... مما نهى عنه الإله اكولا
والله منذ البدء حيٌّ خلقه ... قبل التحول نسوة وبعولا
مستجلياً وهم هناك أظلةٌ ... ترنو وأشباحٌ تَرِفُّ مُثُولا
نادى وأشهدهم (ألست بربكم ... قالوا بلى) مُتريثاً وعجولا
لبثته منهم ثلّة وترددت ... اخرى واحجم آخرون نكولا
كانوا هناك مقربين وواقفاً ... ما بين بين ومُبعداً معزولا
(قال اهبطوا فيها جميعاً بعضكم ... أعداءُ بعض) يطلبون دخولا
وليأتينكم هُدى فمن اهتدى ... أمن الردى وإلى الجنان أحيلا
هبطوا وأرسل آدماً كمشاهم ... يدعو اليه مُقدماً هابيلا
يجدوهم عوداً الى ما أهبطوا ... منه زعيماً بالإياب كفيلا
يتلو الرسالة منذراً ومذكراً ... ويعرف التحريم والتحليلا

فأجاب دعوته قليل وانتحى ... يقفو رعيل في الضلال رعيلا
فالسابقون رقوا الى النجد الذي ... تركوه نُزّالاً عليه حُلُولا
وثوى يعاني في مفاوز غوره ... واهي العزيمة حسرةً وعويلا
متطلعاً نحو الألى طلبوا العُلى ... يهوي اللحاق مقيداً مكبولا
ذُقْ ما جنيت فما تزالُ مطوفاً ... تطوي حزوناً للنوى وسهولا
أو لم يناولك الرسالة آدمٌ ... فصدفت عنه بغيره مشغولا
صرفت دبور الغي نفسك شمألاً ... والرشد نصب عن اليمين قبولا
إن الذي حيٌّ بنجد بُكرةً ... هو ما تراءى في الغوير أصيلا
لم يستحل عما عهدت فما عدا ... مما بدا لك آنفاً لِتَحولا
ثَبِّت فؤادك باليقين ولا تكن ... برعاية العهد القديم كسولا
وخلاك ذَمٌّ ما أجبت ومن هنا ... كان النبيل من الأنام نبيلا
سر الحياة عناية من منعم ... وسعتك نعمة رفقها تدليلا
فاكبح جماحك في مراغمها ولا ... تقطع مداه نعامة اجفيلا
أوغل برفق فيه أنْ مُريده ... يطوي وهاداً جمة وتلولا
سبق المخف به فكن متخففا ... لا تحملن من العناء حمولا
كم ذا تنال من الهشيم وترتعي ... ويروح سرحك في القفار محيلا
من تسم همته به برتدنها ... ربعاً بأندية النعيم خضيلا

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أما الألى جحدوا الإله وسوّلت ... بالكفر أنفسهم لهم تسويلا
فتحوّلوا بعد الجحود ضواريا ... وزواحفاً ودواجناً ووعُولا
والنفس واحدة ومنها زوجها ... والله من هذين بثَّ قبيلا
كلية كبرى وجسم مطلق ... لا مثلها عرفوا به تخييلا
حاشاهما لم يُعقبا من نطفة ... نسلاً ومن حمأ التراب سليلا
هي انفسٌ جزئيةٌ نجديةٌ ... يا عدل سيمت في الوهاد حُلولا
صُبَّت من الرّاووق وهي ثمالةٌ ... لم تصف تنقيةً ولا تنصويلا
عدمت نقاء الذات فاعترضت على ... خلاقها فهوت تخر نُزولا
قالت أتجعل سافكاً أو مُفسداً ... فيها فردَّ خطابها تجهيلا
هطبت بما اقترفت وإن هي كفّرت ... سبقت الى ما فارقته قُفولا
والله بالقسطاس بين عباده ... يقضي ولم يلك وزنه ليميلا
والعدل رُبَّ قصير عمر لم يغد ... من قسطه بالأمس كان طويلا
كم صبية بكر القضاءُ عليهم ... صحبوا الزمان مشايخاً وكهولا
والرزق مقسومٌ فلو طمع امرؤٌ ... في نيل غير مقدّرٍ ما نيلا
لا يحزنن على الذي لم يؤته ... زيدٌ ولا يحمُد عليه عقيلا

هذا الذي بالمثل عز جنابه ... من قبل بالأقتار عاش ذليلا
والجاهُ مثل الرزق كم من نابه ... في الناس عاش ذلة وخمولا
والبغي سيفٌ خاب حامله فمن ... يقتل به فبه يروح قتيلا
والسعي مأمورٌ به وميسرٌ ... من يستحق لما يريد وصولا
أبت الجواهر أن تحول وإنما ... عرض الفناء يزاول التحويلا
أجملتُ في تبيان ما سمحت به ... أهل الخفائق فانشد التفصيلا
وحملتُ هذا السر غير مبذر ... وأنيل منه لو وجدت حمولا
وإذا الكتاب قرأت من تمهيده ... فصلاً فإن وراء ذاك فصولا
والأنبياء مُبشرٌ ومُبلغٌ ... والله بابن بينهم تفضيلا
والرسل كل من سُلافة عصمة ... جاء البرية منهلاً معسولا
لا فرق بين المرسلين فكلهم ... لاخيه أرسل مشبهاً ومثيلا
موسى وعيسى والنبي كيونس ... ذي النون أو نوش أو شمويلا
تتبدل الأسماء في كل اللغى ... والحقيقة الاسماء لا تبديلا

* * *

والشر في الدنيا وعلته الهوى ... والجهل والإعجاب من قابيلا
غولٌ تجسّد في البسيطة فاتك ... بالكائنات فمن يهاب الغولا
روحٌ يزين للنفوس غرورها ... ويذلها كان خذولا
نارٌ من الغضب استطار دخانه ... في الكون وانتظم الأنام شمولا
يعدو على الأقوام إلا ثلة ... من أولين وآخرين قليلا
والشرُّ لو غُمّت عليك سبيله ... لا تدر للخير الأعم سبيلا
ما زلت أحي الليل حتى ملني ... سهدي فهل وجد السهاد ملولا
وأجيلُ فكري مُمعناً ومُنقباً ... باحثاً ما الفكر فيه اجيلا
سهدٌ أفاد الفكر منه قوة ... أما الكيان فذاب منه نحولا
سافرتُ في الأسفار التمسُ الرؤى ... وأسومُ فيها الجدَّ والتحصيلا
وعنيتُ بالتوحيد لم أعدل به ... علماً ولم أر للإله عديلا
تنزهت ذات الله ما صورتها ... صُوراً ولا مثلتها تمثيلا
وكشفت ما دون الغطاء فما طغى ... بصرٌ ولا انحسر العيان كليلا
ومكثتُ حول النار وهنا تصطلي ... وسمعتُ في رجع النداء هديلا
وسريتُ في الوادي اليمين مؤانساً ... نوراً تجلت فاستنار سبيلا
وقبستُ نور النار من زيتونة ... لا شرقية كان خذولا
ورأيتُ شمساً لو تجلّى نورها ... للصور غادرت الكثيب مهيلا
والله أسرج بالسنين وبرده ... من زيتها في مهجتي قنديلا

* * *

نورت من خُطب الوصي بصيرتي ... ونزعت من غمم الشكوك سدولا
عرست ما هوّ مت في وادي الكرى ... وفرشت في ظل الوصي مقيلا
وغرست بين جوانحي من حُبّه ... قبل الفطام حدائقاً وحُقولا
وصدقت فيه خلتي لم أتخذ ... يوماً فلاناً في الحياة خليلا
ربّ الإلهيات القى علمه ... قولاً على سمع الزمان ثقيلا
باب المدينة جامع مستوعب ... ما كان منها بادياً ودخيلا
قرع العذارى في المعارف ما أتى ... إلا ممنعة الحجاب بتولا
لولاه لم تجل الفهوم فريدة ... يوماً ولا عنها الستار أُزيلا
هو عيبةُ العلم الشريف إذا انتمى ... إلا اليها العلم كان غُلولا
يا أوحدَ الدنيا ونقطة بائها ... وامامها وحُسامها المسلولا
إنَّ الألى قتلوا الحسين هم الألى ... عقروا قديماً ناقةً وفصيلا
تخذوا قلاكَ عقيدة وتعقبوا ... فيمن نميت السم والتقتيلا
دعهم فإنَّ الله قد أعطاهم ... بئس وعده الإملاء والتمهيلا
إن قلت خف النصب قام حوارُه ... متأثراً درب الفنيق بزولا
يا خيبةَ القالي ويا فوز امرىء ... بهواكَ راح متيماً مَتبولا
سبحان ذي الأمر الذي ما يقتضيه ... في الكون أصبح نافذاً مفعولا
العلة الأولى وما كيفيتها ... وارى سواها محدثاً معلولا
ما جالَ فيها العقل إلاّ زادَه ... طول التأمل حيرةً وذهولا
ازل عن التحديد جَلّ وسرمدٌ ... وهبَ الوجودَ كمالُه التكميلا
بادٍ منيعُ الغيب ليس بمدركٍ ... عند البزوغ ولا اضمحل أفولا
أنفي وأثبتُ ما أرى مما أرى ... وأجانب التجسيم والتعطيلا
صمدٌ تعالى أن يكون مشبّهاً ... أو بالصِّفات أو النعوت منولا
سبحانه ما للبصائر مَسرحٌ ... في كنهه لتخوضَ أو لتجولا
وشهدت أنَّ العقل أول ما بدا ... منه ففاض على الوجود عقولا
أحدٌ قديم الذات أبدع واحداً ... لا بائناً عنه ولا موصولا
والله فوض أمره في ملكه ... لا مستعيناً بل أناب وكيلا
يقضي ويمضي ما يشاءُ بقدرةٍ ... منحته في سلطانها التخويلا
لا استدل على الإله بغيره ... اني أرى منه عليه دليلا
وأقول ان العقل منه مُبدعٌ ... ما قلتُ كان كغيره مجعولا
هو خالق النفس التي من مائها ... في كل حي للحياة هيُولى
نفس مؤثلة اليها ينتهي ... شرف الملائكة الكرام اثيلا
العالم العلوي من نفحاتها ... يستاف قدسيُّ النسيم عليلا
أنا في فنائك يا أبا الحسنين من ... ذي لبدة في الغيل أمنع غيلا

بكت الصلاة فهل سمعت بحادث ... قطع الصلاة وعطّل الترتيلا
رقد الذي غلب الرقاد فقل له ... أترى الضعيف من القوي أديلا
ويح التراب لجبهة طافت به ... ولهى وكم ظفرت به تقبيلا
الآن من بعد المنات خلا بها ... وغدا على ذاك الجمال مهيلا
يا محسن الافعال لولا عصمة ... فاتتك أرسلك الإله رسولا
أي المناقب والخلال كريمة ... لم تجن منها السائغ المعسولا
يا بن البهاليل الكرام وليس من ... أبنائهم من لم يكن بُهلُولا
وابن الذين كأنما بعنيهم ... وصفُ الوصيّ شمائلاً ومُيولا
أنت ابنهم ولمحت من قسماتهم ... غررا عليك مُضيئةً وحجُولا
يا نازلَ الفردوس بين رفاقه ... طب ما تشاءُ فقد بلغت السّولا
رضوانُ حولك ضاحكٌ فكأنما ... هو أنت إذ تُلفي لديك نزيلا
عجلت رفاقك في الرحيل وحرت في ... آثارهم تبغي اللحاق عجُولا
كالسّرب طار وقد تخلف بعضه ... فهفا يحاول من عُلاه وصولا
ها قد وفيتُ بما وعدت وسرني ... أني بنيه صادفتُ منك قبولا
والشعر ليس يجل ميتاً لم يكن ... لفعاله قبل المنات جليلا
فاذهب كما هبّ الصبا سحراً به ... جيا الكثير وإن أقام قليلا

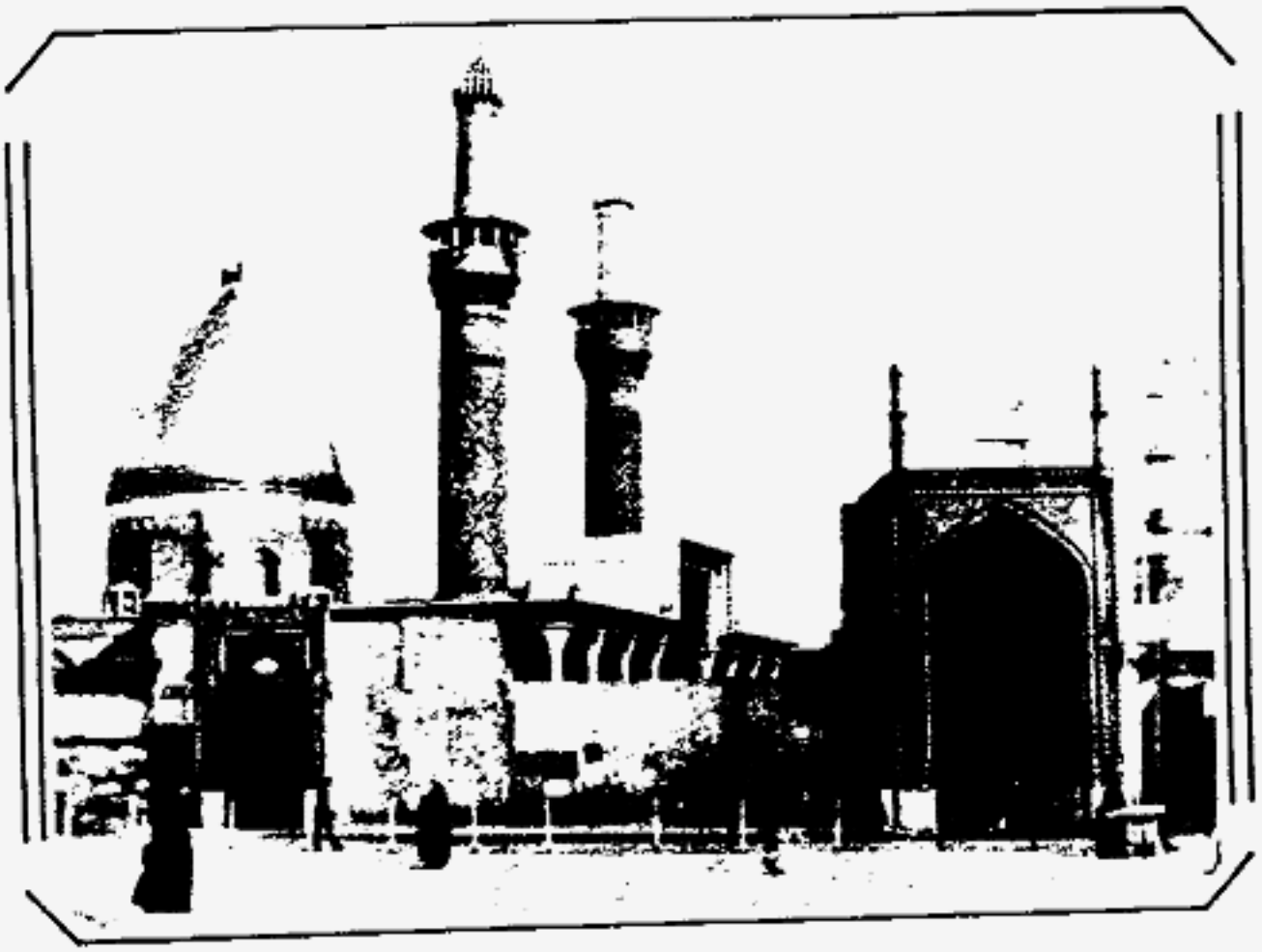

● خطبة صلاة الجمعة في جامع ناعسة ـ القرداحة (محافظة اللاذقية)

وعي الوعي
بين الحياة والموت

بقلم : الدكتور أسعد علي

* دراسة عن قصيدة الشيخ محمد حمدان الخير *

كيف ندخل إلى هذا الربع ؟

إنه مربع : الجمال ، والحب ، والفن ، والوعي . تأملته ، دائراً حول أضلاعه العجيبة . جمالاً وحباً وفناً ووعياً . . واهتديت بالتأمل المخلص الصبور . . فعرفت المدخل والمفتاح . . فمن أين تطلون الدخول؟

هذا هو المدخل من الوعي :

فنحن لا نتذوق الجمال إذا لم نفهمه ، ونتلاقى كل يوم ؛ لكننا لا نراه في شروق الشمس ، وتفتح الزهر ، وزقزقات الطيور ، ولغو الأطفال . . إذا لم يمنحنا الوعيُ مفتاح التذوق .

والحبُّ مثل الجمال ، ومتلازمٌ معه . . نراه في الوطن . . وفي الشعب . . نراه في العلم وفي العمل . . نراه في الخاص وفي العام . . لكنه يظل مجهولاً بالنسبة لنا ، ما لم يتفضل علينا الوعيُ بمفتاح التذوق وفتوحاته . .

والفنُّ صورٌ من التلازم بين الجمال والحبّ ، وعبارة عن جدليتهما ، أو تبادليتهما ، كما يحبّ القول أحدُ عباقرتنا . . نسمع بالفنّ . . ونرى صور الفنّ ، شعراً ونثراً في الأدب . . رقصاً وموسيقى . . رسماً ورياضة . . ومع ذلك لا نغتبط بكل هذه الصور الفنيّة ما لم يتفتّح الوعيُ بنا . .

والوعيُ . . ما هو الوعيُ ؟ ما ظاهره وما باطنه ؟ كيف نفهم به كلَّ جمال وحب وفن ؟ كيف نشعُرُ به هو؟ كيف نعرفُ سرَّه الذي يقدّم إنساناً ويؤخر غيره . . يرفع شعباً ويهبط بآخر ؟. ما الوعي ، هذا السرُّ المعرفيُّ المقدّس ؟

إنَّ الوعي مدخلٌ عالميٌّ ومفتاحٌ إنسانيٌّ . . به يبلُغ الإنسانُ ما يبلُغه من درجات التذوق ، معرفة وعملاً . . فما هي الدّرجة التي بلغها : محمد حمدان الخير من تذوُّق الجمال والحبّ والفنّ والوعي ؟ هل في شعره ما يُصوِّرُ لنا معاناته ومذاقاته ؟ وهل في شعره ما يستحثُّ قوّة الإنسان ليبلغ الوعيَ الذي يجعلُه حراً ؟

إنَّ الحرّية مطمح الإنسان الأعلى . . يقول السيد المسيح : اعرفوا الحق والحق يحرركم . .

لمحمَّد حمدان ديوانُ شعرٍ ، أضخم من ديوان المتنبِّي حجماً . . لكن ضخامة الحجم ، هل تعني ضخامة نوعٍ شعريّ يحتفلُ له ؟ . . وسؤالٌ آخرُ : مَن اطَّلع على هذا الديوان ؛ ليحكم على قيمةِ نوعه ، فنّاً وحياةً ؟

أطلعني ذووه على إحدى وستين مطوَّلةً من قصائده . . فيها حوالى ستة آلاف بيتٍ من الشعر العربيِّ الأساسي ، أعني بالشعر العربيِّ الأساسيِّ ما صيغ وفقَ تقاليدنا الشعرية القديمة ، مراعاةَ وزنٍ وقافية . .

وقد صوِّر ثلثُ هذه القصائد تقريباً ، ومُنحْتُ نسخةً منها ، فيها أربعُ وعشرون قصيدة . . تتجاوز أبياتُها الألفين . .

إنَّ النظرةَ الشكلية لهذه القصائد تُوزِّعُها إلى زمر ؛ منها ثماني قصائد للرثاء ؛ وثمانٍ منها لمراسلات الأصدقاء ؛ وسبع لموضوعاتٍ وطنيَّة وقومية ودينيَّة واجتماعية وتربوية ؛ وواحدةٌ لوعيِ الوعي في تاريخ الغير وفي حياة الذات . .

في الزمرة الأولى رثى ثمانيةً من أصدقائه العلماء ، هم : محمد حامد ابراهيم . . حبيب عبد الصَّالح . . صالح ناصر الحكيم . . عبد صالح يوسف بشمان . . حسين ميهوب حرفوش . . ووالده حمدان الخيِّر . . والدكتور وجيه محي الدين . . والثامن أحد أصفيائه ، عزَّاه حيًّا عن مصيبة أصابته في جسمه . .

هو في هذه الزمرة من قصائد الرثاء يتجاوز المُتعارف في فنِّ الرِّثاء إلى أغراض الشعرِ وموضوعاته الأساسيَّة ، مثل : الزمن : الحب : الموت : الدين : الانسانية : الكبت والعزلة الاجتماعية : الهجاء الاجتماعي : وصناعة الشعر . .

تمكن إقامةُ دراسةٍ متمهلة على أغراضِ هذا النوع من شعره . . وتلاحظُ مرتبة وعيه لمربَّع : الجمالِ ، والحبِّ ، والفنِّ ، والوعي . . فمن ينهض بهذه الدراسة قبل نشر شعره ؟

وسيجدُ الدارسُ أنَّ من أصدقاءِ هذا الشاعر علماءَ لهم آثارهم ؛ فقد أطلعني السيد علي حرفوش على مخطوطة «الذريعة إلى المغمورين من شعراء الضيعة» ، وفيها أخبار وأشعار لحوالى ستمائة شاعر ، جمعها أحد هؤلاء العلماء الذين رثاهم محمد حمدان . . أعني حسين ميهوب حرفوش . . ومعظمهم مغمور فعلاً ، لم أسمع بهم من قبل . . ولذلك معناه في عصر الكشوف . . . فماذا نجد لو انتقلنا إلى الزمرة الثانية من أصدقاء شاعرنا ؟

في الزمرة الثانية من قصائد محمد حمدان الخيِّر مراسلاتٌ لثمانية آخرين ، هم : سليمان العيسى . . وأحمد علي حسن . . وعبد اللطيف سعود . . وقصائده لهؤلاء الثلاثة نوعٌ من النَّقد الأدبيِّ ، يُحدِّد فيه رأيه بالشعر عموماً وبشعره خصوصاً ، وبالأوضاع القومية الراهنة التي أفرزت أصلاء ومدَّعين . . ومن هذا النوع النقديِّ قصيدته للطبيب ابراهيم الخيِّر ، وان كان فيها حديث الطبِّ والأخلاق الموروثة والمكتسبة . .

أما قصيدته «مسارح الوصفِ» التي أرسلها لنجم الدين الخيِّر فمثال للشعر الفكاهيِّ ؛ الذي يُضفي على الآخر صفاتٍ مبالَغاً فيها ، تعبر عن النصبوة إلى المثلِ الأعلى وإن أثارت الضحك للمفارقة البعيدة بين الواقع والمثال . . وفيها وصف واقعيٌّ نادر للحياة الشعبية في الأرياف الزراعية . .

وفي «حكاية ساعة» و«خيال الصّدى» يخاطب الذين لم يصرّح باسميهما ، لكنّه يوقظ فكرة الزّمن الأزليّ في حديثه عن السّاعة .. كما يوقظ فكرة الصّداقة الوفية في حديثه إلى «خليل الصّفاء» ..

وأخرُ قصائد هذه الزّمرة ، «إربة الأريب» التي أرسلها خبيب عبد الصّالح ، فهي نموذجٌ خاصٌّ ، لما يُسمّيه شاعر السّويد الأكبر ، «إيرلاغركفيست» : «تناول المواضيع الصّغيرة في أسلوب فخم» .. فموضوع القصيدة «التبغ» ، لكن التناول كان بأسلوب فخم حقا ، لأنّه أثار فكرة الأمل المبعوثة من وعد الحبيب ... ثم أعطى للحبّ صورة القرابة .. ورأى في اشتعال التبغ صورة للحياة : «سواد شباب في بياض مشيب» ..

موضوعات هذه القصائد وما يُشبهها ، في شعره ، تصلح موضوعا لبحث فيه الصّداقة وما يتفتّح منه من قضايا الحياة : لغة ، وأدبا ، وتعاونا ، وزمانا ، وحبّا ، وفكاهة وجدّا ، ومرضا وصحّة ... الخ ..

أمّا قصائدُ الزّمرة الثالثة ، وما يُشبهها من شعره ، فتتناول : العروبة ، والبيئة ، والشّرق ، والشباب ، والأدب والدين والتاريخ .. وعناوين قصائدها السبع : دعوتي لأمتي .. دمعة اسكندرون .. غصّة للأدب والدين والتاريخ .. زفرة شاعر .. غصّة على الدنيا .. إنّ الشباب مطيّة الإنجاح .. سلاحك يا ابن الشرق أعوج ..

القصيدة الأخيرة ، وحدها ، نشرت في جريدة «نفس» الدمشقية ، ١٣٤٨هـ ، إبّان الانتداب الفرنسيّ ، وفيها جرأة على المستعمر واستهانة لأبناء أمّة حيّة : الدين ، واللغة ، والوطن .. إلى الشجاعة والتحرر والوحدة مقومات الحيّة من الحضارة والتقدم ..

الزمرة الرابعة هي القصيدة الرابعة والعشرون في القصائد المصوّرة ، سمّاها صاحبها : «بين الحياة والموت» .. أبياتها : مائتان وخمسة وأربعون بيتا من البحر الكامل التام ..

هذه المطوّلة تمثّل زمرة بذاتها ، وهي ، عندي ، مثالٌ لوعي الوعي في تاريخ الثقافة الإنسانية وفي اختيار تلك الثقافة اختيارا خاصّا يصوّر معاناة محمّد حمدان الخبر ومذاقاته . فماذا في القصيدة ؟ وهل تحدّد مرتبة الشاعر العارف ؟.. وهل هو ما يستحثّ قوّة الإنسان متلقّي درجة الوعي المعرفي الذي يجعله حرا ومحبّا ؟

حقّق الشاعر لقصيدته ما نسمّيه في البلاغة : نظرية الأناقة ، فقد تأنّق في ابتداء كلامه .. وفي تحوّلات معناه من صورة إلى صورة .. وفي اختتام الكلام ..

افتتح القصيدة بقوله :

إنّ الّذي خلق الوجود جميلا جعل الحياة إلى الممات سبيلا

وختمها بقوله :

فاذهب كما هبّ الصّبا سحرا .. به يحيى الكتيبُ وان أقام قليلا ..

ومن المفتتح والمختتم عُلم وعيه الثقافيّ ، فمضى يقابل البيتَ الذي أسرجه الله في مهجته .. وألحدت فيه الثقافة الإنسانيّة والموهبة الإلهية ، فهو يسافر في أسفار الفكر ، منذ ادّه إلى يومه .. تبعى غربة الإنسان المعرفيّة ، وهو في أسفاره يستأنس بضياء شعلة إلهية تتقدّ فيه من الداخل ، فتسحه سكينة يقين وطمأنينة وعي ..

لذلك نُعتبر القصيدة : رصداً ثقافياً لتجربة الإنسان الكوني في وعي وجوده . . ورصداً ذاتياً لتجربة محمّد حمدان الخير ، إنسان القرداحة المحلي ، وفي وعي ثقافة إنسان الكون الكليّ من جهة ، وفي وعي الذات الفردية لوجودها ، وهي تتفتّح بين الحياة والموت . . وهل الموتُ يرعى التفتحات ؟

رصد وعيُ الانسان الكونيّ ، في القصيدة ، باثنتي عشرة صورة ، هي : سباقُ الأحياء نحو الفناء . . العقل في ابن الطين . . ظل الحياة الظليل . . الجسم والنفس . . القرآن والحديث . . النار والفردوس . . المهتدون والضالون . . حكمة الله ومحبات الفلاسفة . . آدم والبرية . . النفس الواحدة وزوجها . . العدل والعباد . . الأنبياء ووحدة المعنى . . الشر والخير . . فما هي صور الرصد الذاتي ؟ .

وعى الشاعر تجربته ومنابعها في الثقافة وفي نفسه ، فصوّرها بخمس صورٍ ، هي : إجالةُ الفكر في التراث الإنسانيّ واستلهام اليقين الداخليّ . . صورةُ الحقيقة في منهج الإسلام المعاني الوجود بصورة هبةٍ من ذي الأمر صورة التوحيد في منظار المحقّ ومنظار المدّعي . . صورة المصير المحقّق بالفعل وبالقول . .

كلُّ واحدةٍ من هذه الصور مرقاةٌ لاكتشاف ما أسمّيه : «محمد حمدان شاعريةً قانعةً أم طامحة» . . أو ما أسمّيه أحياناً : «شاعرية الجوهر الفرد» .

هذه القصيدة المصوّرة : «بين الحياة والموت» . . زهرة بذاتها ؛ وهي مثلُ الزُّمر الثلاث السّابقة تصلح موضوعَ دراسةٍ في وعي الوجود . . وأظنها أكثر قصائد الشاعر تجرُّداً من المقيّدات . . وأكثرها اقتراباً من المطلقات . . لذلك أمثّل لتذوّقها بتحليل بيت منها ، أو بيتين ، فهل نستطيعُ إعطاء المفتاح للدخول إلى مربّع : الجمال والحب والحق والوعي ، بتحليل بيتٍ أو بيتين من قصيدةٍ سمّاها صاحبُها «بين الحياة والموت» ؟ .

أيُّها الأصدقاء

شعرتُ أنّ قصيدة «بين الحياة والموت» ، ليس لها ما لغيرها من الشعبية التي تتمتّعُ بها قصائدُ محمّد حمدان الأخرى . . لدى عارفي شعره . .

ربّما لأنّها تجربةٌ وعيٍ تامٍّ ، يخصُّ الإنسانيّة كلّها . . والناسُ يتحمّسون عادةً ، لما هو خاصٌّ . . أكثر من اندفاعهم لما هو عام . .

وربّما ، لأنّها تعتبر قصيدة ثقافيّةً أكثر منها انفعالية . . والشعر المعتبر هو شعرُ الانفعال المصوّر . .

لا اكتم أنّني أحسست بروح القصيدة إحساساً مختلفاً . . أحسستها طائراً يُحلّق في فضاء الخلود . . وتصوّرت أنني أرى طائر الخلود : رأساً وجناحين وجسماً وذيلاً . . وبدا رأسُ الطائر الشعريّ في المطلع الذي يؤسّس القصيدة . .

أعرفُ أنّ هذه الرؤية خاصةً . . لكنني أعرفُ أن التحليلَ الهادىء الحنون يجعلُ الخاصّ في خدمة العامّ . . ويحوّل الرؤية الذاتية موضوعاً غيرياً يخصُّ الكلَّ كما يخصُّ الفرد . . فهل تسمحون بلحظات من التحليل الرؤياوي لبيتٍ واحدٍ ، أسّس به الشاعر قصيدته : «بين الحياة والموت» ؟

إنّ الذي . . خلق الوجود جميلا جعل الحياة إلى الممات سبيلا

كيف نعي السرّ الغنيّ في هذا البيت ؟ أليس الفنُّ عبارة عن جدلية الحبّ والجمال في وعي الشاعر ولا وعيه .. أعني ما نسميه : صميم الإنسان ؟

رؤيا الشاعر في البيت واضحة .. خلاصتها : الوجود جميلٌ كما خُلق .. فإن قيل هذا الرأي : أو تعتبر الوجود جميلا مع أنّ الموت يلازم الحياة ؟ أي جمال يستمتع به الانسان مع مطاردة الممات له ؟ ..

لم يجب الشاعر إجابة منتظرة ، مألوفة ؛ لأنّ رؤيته واضحة ؛ الوجود جميلٌ ؛ لأنّ مبدعه خلقه جميلا .. وليس في خلق الرّحمان من تفاوت .. الحياة والموتُ يتجاذبان الوجود .. لكن الحياة سبيلٌ إلى الممات .. فالممات هو الغاية في بناء الوجود الجميل .. ألا تبدو الرؤية غريبةً ؟

نعيدُ التأمّل في البيت ؛ لنكتشف جمال الوجود وجمالَ الحياة والموت معاً .. ففي البيت عبارتان بعضهما تأكيد ووصل :

العبارة الأولى : خلق الوجود جميلا

العبارة الثانية : جعل الحياة سبيلا إلى الممات ..

التأكيد والوصل بافتتاح البيت : «الذي» .. واسم الموصول يمتصُّ جملة الصّلة فتتحدّ به .. فنقول : خالق الوجود جميلا .. جعل الحياة سبيلا إلى الممات .. هذا أكيد .. فكيف نعي هذا التأكيد ؟

منذ أفلاطون تعتبر درجات الجمال هي درجات الوجود .. عند الفلاسفة وعلماء الجمال .. وهي أربع : الحسّ ، والنفس ، والعقل ، والمطلق .

فالوجودُ الحسيُّ جميلٌ ؛ لأنّه وجودُ الجاذبيّة الدّوّارة .. تدور الطبيعة في فصول .. وبعد كلّ انغمار بالخريف والشتاء يكون بعث الربيع وبعث الصيف .. ومثل ذلك دورة الدّم في الإنسان .. تذوُّق هذه الدرجة من الجمال يحتاج وعيا .. فكيف نعيه ؟

والوجودُ النفسيُّ جميل ، لأنّه وجودُ الأخلاق الخلاقة .. تدور المجتمعات بين أحوال من الفساد والانحطاط والصلاح .. لكن شهوة النفس وحنينها يخلقان أخلاق التجاوز ..

والوجود العقليُّ جميل ؛ لأنّه وجود الرّوابط الضابطة .. ضبط الرّوابط يصل بالانسان إلى اكتشاف العلائق في الوجود وتوجيهها فيكون العلم والتقدم ..

أما الوجود المطلق فجميلٌ أيضاً ؛ بل هو الجمال بالذات .. بجاذبية كماله ترتفع الدرجات السّابقة لتكون أكثر جمالاً وكمالاً .. والممات نباهة كشافة تبلغ الكادحين غاية السّعادة ؛ لأنّ الممات قوة التجدد الموصلة إلى الخلود .. فهل فتح لنا الوعيُ باب المربع ؟

أيّها الأصدقاء

إنّ وعيَ الشعر .. يحتاج صبراً وتأمّلاً ؛ لأنّه صورةٌ لمعنى حياةٍ ، عاشها الشاعرُ .. والذاتية العليا الصّادقة تفترضُ الموضوعية الدقيقة ..

لقد جرّبتُ الموضوعية والذاتية معاً ؛ لأعي درجة محمّد حمدان الخير في مستويات الجمال والحبّ والفن والوعي . منطلقاً من مداخل في قصيدة الوعي .. وإن كان يفضّل جلال الحياة على جلال الشعر بقوله :

والشعرُ ليس يجلُّ ميتاً لم يكن ... بفعاله قبل الممات خليلا

أمّا عن مستويات الجمال والحبّ والوعي ، فيقول :

سبحان ذي الأمر الذي ما يقضه ... في الكون أصبح نافذاً مفعولاً
أزلٌ عن التحديد جلَّ وسرمَدٌ ... وهب الوجود كمالُه التكميلا ..
وأقول ان العقلَ منه مبدَعٌ ... ما قلت كان كغيره مجعولا
هو خالقُ النفس التي من مائها ... في كلِّ حيٍّ للحياة هيولى ..
والنفسُ تمثلُ في الجسوم ولن ترى ... في غير جسم للنفوس مثولا ..
يا أيها الإنسانُ حسبكَ ضلّةً ... أن لاترى ظلَّ الحياة ظليلا
رفّتْ عليك مطلةً بشروقها ... فاختار وجهك أن يكون أفولا ..
سافرتُ في الأسفار أنتجع الرؤى ... وأسوم فيها الجدَّ والتحصيلا
وعُنيتُ بالتوحيد لم أعدل به ... علماً ولم أر للإله عديلا
وقبستُ نور النار من زيتونةٍ ... لم يخش باسقها النضير ذُبولا
والله أسرج بالسفين ويسرده ... من زيتها في مهجتي قنديلا ..
فاذهَبْ كما هبَّ الصبا سحراً .. به يُحيي الكثير وان أقام قليلا ..

إنّ «بين الحياة والموت» : قصيدةٌ تقدّم صاحبها مستوعباً وعي الإنسانية للجمال والحبّ والفنّ والوعي .. وتقدّمه عارفاً ما أودع به من قوى مضيئة ، تؤنسُ بقنديلها وتهدي لسعادة الحياة : جسدية ونفسيّة وعقليّة .. كما تهدي لسعادة الحياة المطلقة .. وتلك السّعادة تتحقق بالممات .. ألم يؤسّس القصيدة بقوله :

إنَّ الذي خلق الوجود جميلا ... جعلَ الحياةَ إلى الممات سبيلا ..

لم يكن محمّد حمدان الخيّر في هذا الأفق الأعلى دائماً .. فقصائده في : الرثاء .. ومراسلاته للأصدقاء .. وصيحاته للعروبة والإسلام .. أنماط أخرى من الحماسة والحرارة .. فيها التبرم بضيق الواقع والبيئة .. لكنه آمن بالشباب في وطنه وبالأصالة في قومه .. وأثمر إيمانه الرجاء فكان من بيئته من يحقق المنى ..

عجب

عجبت لمعشر صلّوا وصاموا ... ظواهر خشية وتقىً كذابا
وتلقيهم حيال المال صمّاً ... إذا داعي الزكاة بهم أهابا
لقد كتموا نصيب الله منه ... كأن الله لم يحص نصابا
ولولا البخل لم يهلك فريق ... على الأقدار تلقاهم غضابا

أحمد شوقي

الدكتور صالح عضيمه

ادبه ..... وجهوده في التراث

د . صالح عضيمة

«لمحة عن حياته
- حوار حول قضايا التراث
- نماذج من شعره» .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

اعداد : قصي الشيخ عسكر*

لمحة عن حياته :

ولد الدكتور صالح عضيمة في العشر الأواخر من رمضان لعام ١٩٤١ في قرية اسمها (رويسة الحجل) من منطقة (جبلة) في ريف محافظة اللاذقية من سوريا .

والده السيد عبد الله عضيمة كان موئلاً لرجال العلم والدين يقدمون اليه وكان ميّالا الى سماع الادب والتاريخ والشعر فزرع في ولده هذا الميل اذ أنّه كان كلّما يأتي عالم أو أديب كان يحرّضه على الاهتمام بولده ويطلب اليه ان يعنى به فترة اقامته في المنزل ، كما كان بالمقابل يحرّض ولده على سماع الادب والشعر والأحاديث الدينيّة من هؤلاء الوافدين .

ثمّ انّ والده أخذ يعلّمه القرآن فأحفظه اياه بين البيت وبين الكتّاب الذي كان يوجد تحت شجرة كبيرة عند مقام ولىّ من الاولياء أو نبىّ من الانبياء ، وقد لازم هذا الاهتمام الطفل صالح منذ ذلك الوقت الى الآن فما ترك الاهتمام بالقرآن ومانوانى لحظة عن العناية به والاستسقاء منه .

ثمّ أدخله أبوه المدرسة الابتدائية في قرية (غنيره) وهي قرية مجاورة لقريته ، وهناك اكمل الابتدائيّة ، انتقل بعدها الى مدينة جبلة ليدرس في اعدادية البنين وينال شهادة منها ، ثمّ الى طرطوس

★ مراسل (الموسم) في الدانمارك .

حيث أكمل دراسته الثانوية ، وانتسب بعدها الى قسم اللغة العربيّة في جامعة دمشق ليتخرّج فيها حاملاً اجازة اداب اللغة العربية وعلومها عام ١٩٦٧ .

خلال دراسته الاعدادية التقى العلاّمة الشيخ أحمد محمد حيدر الذي كان يتردد الى منزل ابيه دائما ، واصبح تلميذاً له يأخذ عنه علوم الدين والتفسير والفلسفة والتصوّف وكان مما درس على يده (اشعار المكزون السنجاري) ونصوصاً متفرّقة من ابن عربي وتفسير بيان السعادة ورسائل اخوان الصفاء ، والمقابسات لأبي حيان التوحيدي والنزوميّات لأبي العلاء المعرّي وقسطاً كبيراً من كتاب التنبيه لحسن بن حمزة الشيرازي وكتب اخرى لكبار المتصوفة .

وفي عام ١٩٦٤ نال جائزة الشعر (الترتيب الثالث) التي خصصها المهرجان الشعري للشريف الرضي في اللاذقية .

في عام ١٩٦٨ غادر سوريا الى ايران ليدرس في جامعة طهران الادب المقارن ، وفي طريقه مر بالعراق فقضى شهرا كاملاً زار خلاله بغداد والتقى نفراً من ادبائها ، وزار العتبات المقدسة في كربلاء والنجف والكوفة والكاظمية ، والتقى العلامة اغا بزرك الطهراني وبالسيد الحكيم المجتهد الاكبر في زمانه وعدداً كبيرا من العلماء وأقيم حفل تكريماً له في جامعة النجف الدينية التي قيلت فيه قصائد شارك فيها نخبة من الادباء والعلماء ومنهم العلامة حسن عواد الكاظمي وقد القى قصيدة رداً على تكريمهم يمدح فيها صاحب المقام الرفيع في الاسلام والفكر العالمي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) .

وفي ايران تعرّف بعدد كبير من ادبائها وعلمائها وكتابها يأتي في طليعتهم العلاّمة محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان في تفسير القرآن ، والشيخ جعفر النقدي في طهران والاستاذ سميع آوهي وزير فرهنگ والدكتور سيد حسين نصر والعلامة الكاتب سيد جعفر شهيدي والباحثة مجتبى مينوي وعدد آخرين من وجوه الثقافة والعلم في ايران . كذلك التقى المستشرق الكبير هنري كوربان وبالعلامة الاستاذ عثمان يحيى الذي يعمل في مركز الابحاث الفرنسية في باريس ، وقد توثقت بين الدكتور صالح وهذا الأخير عرى صداقة وتعاون في مجال الدراسة والابحاث فيما بعد ومازال الى الان .

وفي سنة ١٩٧٠ ألقت عليه القبض مخابرات الشاه (السافاك) وأودعته السجن بتهم متعددة كان ابرزها محاولة اغتيال الشاه والاتصال بالحركات السرية الثورية المناوئة لحكم الشاه والتعاون معها لضرب مصالح اسرائيل في ايران وتقوية مصالح العرب . وقد حكم عليه بالاعدام ثم افرج عنه عن طريق التفاوض بين الدولتين السورية والايرانية وتبادل السجناء .

بعد عودته الى سوريا عين معيداً في جامعة دمشق وصدر قرار بايفاده الى جامعة السوربون في فرنسا متمتعاً بمنحة منها لتحضير الدكتوراه في الادب المقارن ، وقد سافر الى فرنسا في يوم ١٩٧٥/١٠/٢٣ .

درس الفرنسية في معهد اللغات بجامعة (بيزون سون) في الجنوب الشرقي من فرنسا ، ثم انتقل الى السوربون لمتابع الدراسة وفي عام ١٩٨٠ تمتنت علاقة الصداقة بينه وبين عدد من الاساتذة فيها تقديرا منهم لأبحاثه مما دفعهم الى تكليفه بالتدريس والقاء المحاضرات على طلاب قسم الدراسات الاسلامية في السربون الاولى ومن الجدير بالذكر ان الجامعة كلفته بالقاء المحاضرات فيها قبل ان يحصل على شهادة الدكتوراه منها تقديرا من الجامعة لكفاءاته المتعددة .

وفي عام ١٩٨٣ حصل على الدكتوراه في الفلسفة والفكر المقارن وكان موضوع اطروحته [الخيال بين ابن عربي واندريه بروتون] فقارن بين الصوفية وبين السرياليّة عاد بعدها الى سوريا ليدرّس في جامعة دمشق التي اوفدته لكنّه فضّل ان يعود الى فرنسا ليتابع أبحاثه وتدريسه في جامعة السوربون ولايزال محاضرا في الجامعة المذكورة ، وفي اثناء عودته الثانية الى باريس التقى الرئيس الجزائري الاسبق احمد بن بلا فقامت بينهما علاقة ، وهذه العلاقة خالية من كل شيء إلا من خدمة الفكر العربي الاسلامي والمشاركة في احيائه وتنميته .

مؤلفاته (العربية) :

١ ـ (التكوين والتجلي) : وهو كتاب كان الفه استاذه العلامة الشيخ احمد محمد حيدر ، حققه وعلق عليه مع مقدمة تشرح قسماً من حياة المؤلف وفكره (١٩٨٦) باريس .

٢ ـ (رسالتان في الحكمة المتعالية) : وهو لحسن بن حمزة الشيرازي ، تحقيق وعليه مقدّمة عن المؤلف وحياته وفكره طبع عام ١٩٨٧ .

٣ ـ (الفوز الأصغر) : لأحمد بن مسكويه الفيلسوف والمؤرخ المشهور طبع في تونس ١٩٨٨ (له ترجمة فرنسية بالاشتراك مع المستشرق الكبير روجيه أرنالديز) الترجمة الفرنسيّة مطبوعة مع العربيّة .

٤ ـ (الأواني والمعاني) الجزء الأوّل طبع عام ١٩٩٠ (مجموعة مقالات ومحاضرات في حقول فكريّة وادبية مختلفة) .

٥ ـ ديوان شعر (مخطوط)

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(الفرنسية)

١ ـ مختصر عن محاضراته في جامعة السوربون .

٢ ـ (الخيال بين ابن عربي واندريه بروتون) رسالة دكتوراه

وله بحوث وقصائد منشورة في عدد من المجلات والصحف العربية ومنها : العالم ومنبر اكتوبر ، والاهرام وغيرها .

حوار مع الدكتور صالح عضيمة

١ ـ ما هي الصورة التي تنظرون بها الى التراث ؟

لايستطيع مفكر من المفكرين إلّا ان يعترف بما لأمته من تراث ، واعني بالتراث ماخلفته الاجيال المتعاقبة منذ ان بدأت تعي الحضارة والحياة . ولا يستطيع الانسان ان يفهم حاضره وان يتطلع الى مستقبله الا اذا عرف الماضي القريب والبعيد وما كان فيهما من أحداث وأحوال واعمال فالاشياء لاينقطع ماضيها عن حاضرها ولكل امة هوية تنفرد بها وتتميز عن الامة الاخرى . ونحن نرى ان امتنا العربية لها تراثها قبل الاسلام وما بعده ونرى ان حاضرها ومستقبلها لايستطيع ان ينكر لمأثورته من قيم ومفاهيم كانت قبل الاسلام وبعده ، وعندما نقول الماضي فنحن لانريد ارجاعه كما كان وانما نعني ما هو صالح لان يستمر كأساس متين وبنيان قوي فلا نستطيع ان نهمل في تراثنا من الشعر والنثر لأننا نحتاج

وفي عام ١٩٨٣ حصل على الدكتوراه في الفلسفة والفكر المقارن وكان موضوع اطروحته [الخيال بين ابن عربي واندريه بروتون] فقارن بين الصوفية وبين السرياليّة عاد بعدها الى سوريا ليدرّس في جامعة دمشق التي اوفدته لكنّه فضّل ان يعود الى فرنسا ليتابع أبحاثه وتدريسه في جامعة السوربون ولايزال محاضرا في الجامعة المذكورة ، وفي اثناء عودته الثانية الى باريس التقى الرئيس الجزائري الاسبق احمد بن بلا فقامت بينهما علاقة ، وهذه العلاقة خالية من كل شيء إلا من خدمة الفكر العربي الاسلامي والمشاركة في احيائه وتنميته .

مؤلفاته (العربية) :

١ ـ (التكوين والتجلي) : وهو كتاب كان الفه استاذه العلامة الشيخ احمد محمد حيدر ، حققه وعلق عليه مع مقدمة تشرح قسماً من حياة المؤلف وفكره (١٩٨٦) باريس .

٢ ـ (رسالتان في الحكمة المتعالية) : وهو لحسن بن حمزة الشيرازي ، تحقيق وعليه مقدّمة عن المؤلف وحياته وفكره طبع عام ١٩٨٧ .

٣ ـ (الفوز الأصغر) : لأحمد بن مسكويه الفيلسوف والمؤرخ المشهور طبع في تونس ١٩٨٨ (له ترجمة فرنسية بالاشتراك مع المستشرق الكبير روجيه أرنالديز) الترجمة الفرنسيّة مطبوعة مع العربيّة .

٤ ـ (الأواني والمعاني) الجزء الأوّل طبع عام ١٩٩٠ (مجموعة مقالات ومحاضرات في حقول فكريّة وادبية مختلفة) .

٥ ـ ديوان شعر (مخطوط)

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(الفرنسية)

١ ـ مختصر عن محاضراته في جامعة السوربون .

٢ ـ (الخيال بين ابن عربي واندريه بروتون) رسالة دكتوراه

وله بحوث وقصائد منشورة في عدد من المجلات والصحف العربية ومنها : العالم ومنبر اكتوبر ، والاهرام وغيرها .

حوار مع الدكتور صالح عضيمة

١ ـ ما هي الصورة التي تنظرون بها الى التراث ؟

لايستطيع مفكر من المفكرين إلّا ان يعترف بما لأمته من تراث ، واعني بالتراث ماخلفته الاجيال المتعاقبة منذ ان بدأت تعي الحضارة والحياة . ولا يستطيع الانسان ان يفهم حاضره وان يتطلع الى مستقبله الا اذا عرف الماضي القريب والبعيد وما كان فيهما من أحداث وأحوال واعمال فالاشياء لاينقطع ماضيها عن حاضرها ولكل امة هوية تنفرد بها وتتميز عن الامة الاخرى . ونحن نرى ان امتنا العربية لها تراثها قبل الاسلام وما بعده ونرى ان حاضرها ومستقبلها لايستطيع ان ينكر لمأثورته من قيم ومفاهيم كانت قبل الاسلام وبعده ، وعندما نقول الماضي فنحن لانريد ارجاعه كما كان وانما نعني ما هو صالح لان يستمر كأساس متين وبنيان قوي فلا نستطيع ان نهمل في تراثنا من الشعر والنثر لأننا نحتاج

لأن نحتفظ بلغتنا وان نستقي منها ثم نريد ان نحتفظ بتاريخنا والا يكون بيننا وبينه تفرق وتمزّق بل تصارع وتجادل يبقى فيهما مايصلح للبقاء ويفنىٰ ما هو ليس بجدير للبقاء فأنا اكره الجمود وأحب التجديد واذا أردت ان اعرف التجديد هنا فانما هو ذلك الفعل أو القول الذي يقف متميزا بما هيئه صامدا امام أحداث الحياة ومتغيراتها بهيولى هذه الأمة ومفهومها مؤثرا ومتأثّرا.

٢ ـ ما هو الحقل التراثي الذي ترغبون في تناوله ؟

الحقول الآتية وهي : القرآن الكريم والشعر العربي ، والتصوّف أو الاتجاه الروحي الفلسفي في الفكر الاسلامي .

٣ ـ وعن المشاكل التي تواجهكم في السربون ؟

انّ ما في السربون من مشاكل لانستطيع ان نقيسه بما هو في جامعاتنا من مشكلات، فعندما تكاد حرية البحث الا يكون لها حضور ، وعندهم طغت التفسيرات المادية على كل شيء حتى أصبح المرء يشعر بأن ذلك نوع من الانهزام وحاقت بهم الشكوك والظنون حتى أصبح المرء يشك بأنه موجود فكلما نعاني من فقدان الحرية في ابحاثنا وفي جامعاتنا العربيّة والاسلامية فإننا نعاني من كثرة الحرية في السربون وفي الجامعات الاوروبية وربما استطيع ان أضع اكبر مشكلة وهي ان تقديرات البحث انحصرت في دائرة الحس والمادة. وان الحدس ومقام الروح يكادان لايعرفان مكانا لهما في البحث والتأليف . لاعجب في ذلك فالمادة طغت على كل شيء حتى افقدت الاشياء كثيرا من حلاوة وجودها .

٤ ـ خلال وجودكم في السوربون هل قدمتم للقسم الذي تدرسون به أية خطة معينة !

لم يطلب اليّ ان أقدّم خطّة وانما حاولت في ابحاثي ومحاضراتي ان أجعل الفكر يعترف بقيمة الانسان والغاية التي هو موجود لأجلها وهي الخلافة الالهيّة على الارض (اني جاعل في الارض خليفة) .

٥ ـ حول التناقضات الموجودة بيننا والتراث كيف يتمّ تجاوزها ؟

التناقضات كثيرة جدّاً ولعلّ ما هو مشهود منها أن الفعل فيها يختلف عن القول ، كمقولة (لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه) (حديث شريف) و(لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحبّ اليه مما سواهما) (حديث شريف) فالناس عندنا يأكل بعضهم بعضاً ولا يعترف أحدنا بصاحبه ولعلّ أخطر ما يواجهه التراث هو نظرية الحاكم التي لم تعرف الحقيقة والواقعية والجدوى بعد الخلافة الراشدة فقد انحرف كلّ شيء وزال كلّ عن شكله الصحيح وفي هذه المرحلة وقعت كلّ أحلامنا وانطمست كلّ أمانينا فلا بدّ لها من جلاء جديد ومن انبعاث لا يعرف التزوير . هذا في الدين اما من ناحية الشعر والادب فينبغي أن يترك الشاعر حرّاً أن يقول ما يشاء وكذلك الناقد والكاتب والاديب والا يكون لحرية هؤلاء حدّ ولا قيد ولا شروط الا مايتركان على الضمير العربي والذوق العربي من اثر ومن تجديد وايقاظ وأعني ان كان لهما عمل فعال في احياء الضمير العربي وايقاظه فمن حقّ الحريّة أن تستمر لهما وان لم يكن لذلك من شيء فانّ أعمال هؤلاء الادباء ستأخذ الطريق الى الانحسار والانطواء دون تعب ولا مقاومة .

٦ ـ وعن التناقضات بين التراث نفسه الا تعتقد انّها تشكّل فضيحة لنا أو تضعنا في موقف حرج أمام الاوروبيين والعالم غير الاسلامي ؟

[illegible] التناقضات لا يكون إلا فيهم هذه التناقضات ويستعمل الشجاعة في ضرب ما هو غير صحيح لتحديد بوضوح كل ما من شأنه أن يدعو إلى التقليد الأعمى وعليه يستعمل العقل والتفكير الصحيح . ويرى أن خير لنا أن نصبح أهل تفقه وجهود نظرائهم هي التي تمكن أن تكون مطلع نهضة وتقدم شعوبهم . وبمعركة هي معهم ومع السياسيين الذين يستغلون هذا الفقه والفقهاء لمصالحهم وبمساعدة من فقهنا المتنورة . وهذا لا يؤدي إلى فضيحة أمام الغرب والعالم غير الاسلامي لأنّ من كان فيه مرض لا يستطيع أن يخفيه بل يكون مجبراً من الجميع إذا هو ظهره وظهر معه الشجاعة والصبر عليه وحاول أن يجد العلاج الصحيح له .

٧ ـ كيف يفهمكم الاوربيّ ؟

في الحقيقة لا أستطيع أن أحدد فهما معيّناً فعلى المستوى الشخصي من نلقاه من اخواننا وأصدقائنا الاوروبيين نجد عنده الاعجاب والتقدير لمفاهيمنا وقيمنا ودينا واستطيع أن أقول ان الاوروبيين في اعماق ابحاثهم الواقعيّة هم أصدقاء لنا نستطيع ان نستفيد منهم وليس في نواياهم . وما ينطوون عليه من نظرات الى شرقنا العربي الاسلامي . فقد عرفهم موجات من الذعر والارهاب على اثر التحركات الاسلاميّة في شرقنا العربيّ الاسلاميّ . واعلم الغرب ذلك يهدد مصلحته ووجوده فطوى له نظرة حديدية من العداء وانتبه الى نفسه بعدّ العدة للهجوم وأعتقد أنّه سيكتشف خطأه حين لا يستطيع ان يصلح هذا الخطأ .

٨ ـ مأساة كربلاء ، بصفتك شيعياً اثرت في نفسك وانطبعت في كثير من قصائدك وأدبياتك . .

لم تؤثر كربلاء عليّ بصفتي شيعياً بل بصفتي مسلماً كبقيّة المسلمين الذين يعتبرون هذه الحالة هي بنت لصفين والجمل كما أنّ هذه الحادثة تركت أثراً كبيراً على تفتيت وحدة المسلمين فلم تترك أثراً قوياً على الفرد الشيعي لكي يلتقي مع أخيه الاخر السنّي الذي يعترف أيضاً بهذه الفاجعة ويبكي عليها بدموع فيها من العقل والوعي أكثر مما في دموع الشيعي ففي المغرب العربيّ ومصر والسودان والباكستان والهند وتركيا واندونيسيا والخليج في هذه البلدان وفي كلّ البلدان الاسلامية شيعة لأهل البيت من السنة ربما كانوا أكثر استقبالاً لفكر أهل البيت ممن يدّعون انهم شيعة ، وهؤلاء كتاب امثال عبد الرحمن الشرقاوي وشوقي وابو ريه أثرت فيهم حادثة كربلاء وفواجع آل البيت وتركتهم يعطون من الأدب والقيم والاخلاق كما أعطى الشيعة وربّما زادوا .

من شعر الدكتور صالح عضيمة

اشعة الموت

في رثاء العارف الفقير احمد الخولي

بالأمس ودّعتُ نورَ المقلتين أبي ... واليومَ أنت ، فيا حُزني ويا كُربي
رحلتُما ، في أمانِ الله عينُكما ... وعيشُنا في أمانِ الشكّ والريب
غبنا وحنّ التلاقي بعد غيبتنا ... يا أُنسَنا المشتهى بالله لا تغبِ
لم أسلُ بعدكُما أيّام عُشرتِنا ... عنقودُها في يدي أحلى من العنَبِ
أيّام نسهرُ والتوحيدُ خمرتُنا ... نديرُها بين مكشوفٍ ومحتجبِ
أيّام نخلو إلى القرآن نسألُه ... عن غابرِ الأمرِ أو مستقبلِ الحقبِ
متى بدأنا مَعَ التاريخ رحلتنا ؟ ... متى نكونُ لنا الرُجعي إلى النسبِ ؟
ونسألُ الوحي : كيفَ الأنبياءُ أنَوْا ؟ ... وكيفَ ينزلُ أمرُ الله في الكُتُبِ ؟
وعن فُلانٍ وما أجْرى بحكمتِه ؟ ... وعن فلانٍ وما أعطى من الأدبِ ؟
تُهدي السماءُ لنا صَفواً وتؤنسُنا ... إذا تعبنا ، بعنقودٍ من الشُهُبِ
أيّام نضحك من شيءٍ ولا عجبٍ ... فيه ، فنخلُقُ فيه نكهةَ العَجَبِ
طابَ اللقاءُ وبَرْدُ الليلِ ينفحُنا ... لولا الخواطرُ لم ينفحْ ولم يطبِ
أيامَ نهتفُ بالأحلامِ ، نُوقظُها ... نحنُ الحيارى ألا طيبي ألا اقتربي
نحومُ بين الخبايا وهي نائمةٌ ... فتوقظُ الفجرَ فيها أخضرَ الهُدُبِ
أيّام أقرأ شعري وهو مرتجفٌ ... فتضحكان : بأني لا أزالُ صَبي
تلكَ الليالي كنوزٌ ، كُلّما افتقرتْ ... روحي إلى سَبَبٍ ألقى بها سَبَبي
وما حننتُ إلى الماضي لأرجعَه ... لكن حننتُ لأبقي جُذوةَ اللهبِ
لم يبقَ منكَ ولا منه سوى خبرٍ : ... بالأمسِ كنتَ هنا ، بالأمسِ كانَ أبي

* * *

وَقفتَ بينَ الليالي غيرَ مُنخدعٍ ... بخُضرةِ العيشِ أو بالمحفلِ الخصبِ
زددتَ دنياكَ خجلى حينَ قُلتَ لها : ... إليكِ عني فلن أسخو بمنقلبي
راودتَها بحياءِ النفسِ فالتهبتْ ... غيظاً عليكَ وأغرَتْ عسكرَ النُوَبِ
مررتَ فيها كنسّاكٍ يُرافقُه ... زادٌ من الصبرِ لا زادٌ من الذهبِ
لم تقبلِ الطيباتِ الحُمرَ زائرةً ... ولا رحلتَ إليها في دُجى الرُتَبِ
أضفيتَ جُرحكَ مثلي لا تبوحُ به ... إلاّ لنفسكَ من كبرٍ ومن أدبِ
حرُّ الجراحِ وشكواها وفورتُها ... عندَ العظيمِ كطعمِ الشهدِ والضَرَبِ
مَسحتَ روحكَ بالأحزانِ فاتقدتْ ... منَ الصفاءِ ، فيا أنواره انسكبي
تلكَ البصيرةُ شفّتْ عن جواهرِها ... فلا تَفُتْها ، وفزْ بالسبقِ وانتخبِ
تلكَ البصيرةُ غرّاء الفنونِ ، لها ... نورٌ يجوزُ مدى الأبعادِ والحقبِ

تلك البصيرةُ لم تَهرمْ وقد ضَمَدت ... للضعف تَرشقُه بالأسهُمِ النُجُبِ
مَشَى لها الموتُ طِلعاً وحاذَرَها ... فراحَ يَزرعُ أرض الجسم بالشغَبِ
لم تَرهَبِ الوجْعَ القاسي بسطوتِه ... وإن وقعتَ، ولم تَجزعْ من الوَصَبِ
غالبتَ حتى رماكَ الموتُ من يَدِهِ ... ويلَ الحياةِ ألَمْ تتعبْ من الغَلَبِ؟
رَضيتَ بالفقرِ لا يأساً ولا هرباً ... من الحياةِ، ولكنْ عِفّةُ الطَلَبِ
وهل رأيتَ غنيّاً عاشَ في زَمَنٍ ... إلّا من الجيلِ الخرساءِ والكذِبِ
يُغني عن القصر بيتٌ قَدْرَ صاحبِه ... ويَدفعُ الجوعَ حَبّاتٌ من الرُطَبِ
يَنامُ قلبٌ هنيءٌ لا يُغيّرُه ... تَخْتٌ من الدُرِّ أو تَختٌ من الخَشَبِ
وما دَعوتُ إلى زُهدٍ ومَسْكنةٍ ... لكنْ حملتُ على الأطماعِ والكلبِ
أبشرْ، وحقّكَ لن يَبقى لمغتَصبٍ ... إلّا التحسُّرُ إذ يبلى بمغتَصبِ
ولن تروقَ لنُهّابٍ لَذاذتُه ... بما أصابَ، ويُلقي كُلَّ منتَهِبِ
صفوُ الحياةِ منامٌ لاحَ في قَفَصٍ ... أو حلوةٌ غَرِيَتْ في باذخٍ أشِبِ
خُفّتْ جوانبُه بالنارِ فامضِ بها ... إذا أردتَ صَفاءَ العيشِ والتَهبِ
تَجني الخطيئةُ منّا لونَ حُمرتِها ... وترسمُ الذنبُ فينا صُورةَ الذنبِ
زمانُنا ضَبوةٌ في قلبِ عاشقةٍ ... في كلِّ آنٍ لها مَيْلٌ إلى أرَبِ
زمانُنا ساجنُ الأطوارِ منزلقٌ ... على خَليدٍ فلمْ يجمدْ ولم يَذُبِ
متنا من البردِ لم ينزل بمَوقِدِنا ... إلا التعاويذُ من حمالةِ الحَطَبِ
زماننا لم يزلْ فيه أبو لَهَبٍ ... من قالَ مات وخلّانا أبو لهبِ
بليةُ الفكرِ فينا أننا حجبٌ ... عنه، ونخلُقُ أوثانا من الحُجُبِ
نَحنُ العجائزُ تبكي وهي نادبةٌ: ... يا ضيعةَ المشتهى في ضَيعةِ العَرَبِ
نحن الأسارى ولا ترجى الحياة لنا ... إلا بكسرِ قيودِ الخوفِ والرُعبِ
أشفقْ عليَّ ولا تعتبْ، فأشرعتي ... في الريحِ ترحلُ لا تجني سوى العتبِ
أقسو عليه فأرمي فيه أمتعتي ... من الجراحِ، وأحزاني ومغتربي
حملته في يدي، والدربُ موحشةٌ، ... سيفاً من النورِ لا سيفاً من اللهبِ
أرى به الليلَ وهّاجاً ويكشفُ لي ... عن فورةِ الحزنِ في دوّامةِ الطربِ
يا أيُّها القلبُ لا تحسبْ لعاصفةٍ ... واغضبْ فأنتَ هنا للرفضِ والغضبِ
واحشدْ إليَّ قلوبَ الناسِ، أعصُرُها ... حتى أذوبَ منها شهوةَ الهربِ
في كلِّ خفقةِ قلبٍ سيرةٌ ولدت ... أو صبوةٌ حفلت بالشعرِ والخطبِ
لم يخلقِ اللهُ قلباً دونَ طفرتِه ... كأنَّ كلَّ فؤادٍ فيه وحيُ نبي
يا أيُّها القلبُ! رُدّ الكونَ طوعَ يدي ... وصَيِّرِ الشمسَ بوّاباً على قُطبي
هل ينبتُ العمرَ لولا أنْ تمرَّ به ... وهل بغيرِكَ نلقى أوسعَ الرحبِ
لولاكَ ما وَجَدَ الانسانُ صورتَه ... ولا توشّحَ ألواناً من العَجَبِ
يكفي بأنّكَ مخلوقٌ على مَثَلٍ ... من صورةِ اللهِ، جلَّ اللهُ عن نسبِ

= ملكوت الجراح =

الى روح أبي الذي كان يضحك كثيرا كلما سمعني اشكو

أسامر الليل أسقيه ويسقيني ... في خلوةٍ قهرتْ سَمْعَ الشياطينِ
أحكي له كلَّ أسراري وأسأله ... أنْ يُرخي الستَرَ يَطويها وَيَطويني
يَا ليلُ وحدَكَ تدري مَنْ شكى وبكى ... فلا تَبُحْ بعجيبِ السرِّ للدَوَنِ
تغوصُ فيكَ عروسُ الجنِّ سائلةً ... عن لُغزِ سرّي وعن روحي وتكويني
فلا تُجيبُها ، وزِدْ بالله خُمرتَها ... حتّى تَنامَ على ظَنٍّ وتخمينِ
يا ليلُ عندَكَ مِفتاحي فضُنَّ بهِ ... حتّى تُلاقي الذي يَهوَى ويُغليني
فاهمس إليه ولقّنه على مَهَلٍ : ... سِرّي بجُرحي وجُرحي فوقَ بَنيني
خلقتُ في مُهجتي كوناً ، فعذّبني ... أنْ لا أراه على جُرحي يُقويني
أدورُ كلَّ زوايا الأرضِ أسألُها ... سَلْوى لجرحي ، وَلَوْ كانت إلى حينِ
فما تَداويتُ إلاّ من لظى وَجَعي ... جُرحي دوائي ، يُكَوّيني ، فَيُشفيني
أصيحُ بالوجَعِ المسعورِ أنهرُهُ : ... شَدِّدْ لهيبَكَ إنّي غيرُ مَحزُونِ
زِدني مِنَ النارِ ، رُوحي هَدَّها عَطَشٌ ... تَبّلُّ من حَرِّها ريقاً وتُعطيني
زِدني مِنَ الضرِّ إنّي سوفَ أحمِلُه ... كما تَحمَّلَ أيّوبٌ وذو النونِ
زِدني بِرَبِّكَ حتى تَشتهي كَبِدي ... لو أنّها وَقَعَت في كَيْدِ فِرعَونِ
زِدني وزِدني ولا تَحسَبْ لِفاجعَتي ... فالله في حمأةِ البلوى يُصفيني
ألَسْتَ تَسْمَعُ مِثلي قولَه وتَرى : ... يا نارُ بَرْداً عليهِ حانياً كُوني
أرى بنجواهُ ما أعيا بقولتِه ... وَصَهْوةُ القولِ أرخيها لِمَنْ دُوني
أعنُو إليهِ وأفنى في عِبادتِه ... فلا أزولُ ، ويُفنيني ليُبقيني
نَبّي عِبادِي أنّي غيرُ مُحتجبٍ ... في كُلِّ شيءٍ جَمالي غيرُ مَكنُونِ
نَبّي عِبادِيَ عنّي أنّني أملُ ... أخفى ، وأظهرُ في شكوى المساكينِ
فكيفَ أرهَبُ في دربي غوائلَهُ ... وكيفَ أفزَعُ مِنْ مَسِّ الشياطينِ ؟
أمشي الهُوَينا على دربي ، ويَسْمَعني ... أشكو لربّي أشْباحاً مِنَ الطينِ
تهتزُّ فيهِ الرُبى حتى لأحْسَبُها ... تَكادُ مِنْ رِقّةِ الشكوى تُناجيني
وأغْربتي بينَ أحبابي ، وَفاجعَتي ... لَمّا أغارُوا على جُرحي يُعزّوني
حَيّيتُهمْ بورودي كُلّما تَعبُوا ... مِنْ غَزِّ جُرحي ، وَلَمْ أبخلْ بِنَشْرِينِ
هَلْ يَسمَعونَ أنيني ؟ إنّه نَغَمٌ ... أحلى على القلبِ من أنغامِ حَسّونِ
هَلْ يَعلمونَ هُمومي ؟ إنّها خُلِقَتْ ... حُوْراً مِنَ العينِ ، بل أحلى من العينِ
خلّفتُهم بجراحي لا هُمُ ارتدعوا ... عَنّي ، ولا أنَا لي صَبْرٌ يُعزّيني
ضَلّيتُ مِنْ أجلهمْ والليلُ يَشهدُني ... فاهتاجَ من حُزنِه يَبكي وَيبكيني
خامُوا على شهوةِ الدنيا وقد وَقَعُوا ... كَحُلوةٍ وَقَعَتْ في حُضنِ عِنّينِ

لو يعلمونَ الذي عندي لَمَا ركِبُوا ... مَوْجَ الدَّواهي إلى وعدِ السَّلاطينِ
عندي الخزائنُ لا تَنفى مَواهبُها ... لكنْ تجودُ على قَدْرِ القرابينِ
سيعلمونَ ولكنْ حينَ لا وزرٌ ... يُنجي منَ الموتِ أو يأتي بتحصينِ
ويعلمونَ مدى حُبّي وما حَمَلتْ ... مِني السَّوابقُ منْ كشفٍ وتبيينِ
أويتُ للنوم، لكنْ لم ينم وجعي ... ما أبعدَ النومَ من أوجاعِ مَطْعونِ
شكى لي النومُ أني لا أعانقه ... إلاّ مع الهمِّ أشكُوه ويشكُوني
أرضى من الهمِّ أن يقسو بمهجتِه ... وأنْ يشدَّ على قلبي ليُجْلوني
يضيقُ صدري بما يُخفيه منْ حُرَقٍ ... أوَاهِ منْ حُرَقٍ في الصَّدرِ تكويني

* * *

أين الحبيبُ الذي غنّى بموعدِه؟ ... كلُّ الأماني لمحرومٍ ومغبونِ
أين البشائرُ حلاّها ووزّعها؟ ... حتّى العجوزُ لها بُشْرى بتزيينِ
وهبتني الوعدَ ممنوناً، ولا أملٌ ... وقد وهبتُك حُبّاً غيرَ ممنونِ
غازلتُ فيكَ المنى لكنّها ضحكتْ ... ولوّحتْ بالدُّمى تلهو وترميني
عسرتْ شكواي أنْ تأوي لغفوتِها ... فالخشبُ منكَ فيَّ غيرُ مسنونِ

أخشى عليك، كما أخشى على كبدي، ... منْ عاصفاتٍ أتتْ في موجِ تلحينِ
أخشى عليكَ عيونَ السِّحرِ، لو نظرتْ ... خلقَكَ منجمداً في شكلِ عُرجونِ
أخشى عليكَ من المسكينِ دعوتُه ... فالويلُ يصغي شكوى كلِّ مسكينِ
أخشى عليكَ ضعيفاً جاءَ مبتهلاً ... أفنيتَه، فتمادى غيرَ مأمونِ
تأبى الأصائلُ أنْ تعطي أعنّتها ... في السَّبقِ إلاّ لفُرسانِ الميادينِ
هجرتُ لحنَكَ لا أرضاهُ لي نَغَماً ... وما وزنتَ فعندي غيرُ موزونِ
دعني أبثُّكَ ما بي، إنّني وجِلٌ ... أنْ يخطفَ الكِبرُ أفراخَ الدّهاقينِ
غمّسْ جراحَكَ بالنيران، تحرقُها ... لا تنطرحْ بينَ تخديرٍ وتسكينِ
تأتي الفواجعُ أبناءً لداهيةٍ ... ما كربلاءُ سوى بنتٍ لصفّينِ
أدْنَتْ أنْ يهتفوا بالشعرِ فيكَ مُنىً ... وأبدعُ الشعرِ شعرٌ غيرُ مأذونِ
غصّتْ رؤاهمْ بأوزانٍ مخلّقةٍ ... يَضجُّ فيها الصَّدى من غيرِ مضمونِ
أغنى لقلبكَ لو عوّذتَه حذراً ... منْ كلِّ مُنْهَرِتِ الشِّدقينِ محقونِ
حسبي سيعصمكَ عني، كلُّها حجلٌ ... يكفيكَ ما زدتني منها ويكفيني
يكفيكَ ما زدتني منها ويكفيني ... ما لنتَ إلاّ لأرعى فيكَ أمنيتي
هيهاتَ أنزلُ عنْ كبري لعاصفةٍ ... يبقى الحديدُ حديداً بعدَ تليينِ
أغضي عنِ العيبِ منْ حُرٍّ يُصارعُني ... هيهاتَ أحملُ أيّامي على هُوْنِ
أومي لطبعيَ أنْ يجري بفطرتِه ... ولا أردُّ على حُرٍّ بتوهينِ
يشقى الذي جاءني بالحقدِ مُقتحماً ... فأعذبُ الطَّبعِ طَبْعٌ غيرُ مدهونِ
وكانَ يظفرُ لو بالحبِّ يغزوني ... وكانَ يظفرُ لو بالحبِّ يغزوني

بالحبّ أخلقُ أزمانـاً وأفرشُها ... بالطيّبات على عزّ وتمكين
يعيشُ في غربةٍ كبرى بلا أملٍ ... مَنْ راحَ يفرقُ بينَ الحبّ والدين
سلّمت حبّك للشهباء تغزله ... فلا تلمْها إذا جاءتْ بمظنون
لو كنت حوّلته عنها لطاهرةٍ ... لجاء يخفقُ في أطوارِ ميمون
ظننتَ قلبي مرهوناً بنزوته ... خدعتُ ظنّك ، قلبي غيرُ مرهون
لو كنتَ تعلمُ ما قلبي وطينته ... أنخْتَ عرشك عند الباب ترجوني
أراغبٌ أنتَ عن روضي؟ ولا أسفٌ ... أنْ يهجرَ الشوكُ أغصانَ الرياحين
تزهو بأنّك ذو دُنيا مُحمّلةٍ ... من الكنوزِ ومن كلّ الأفانين
يأتي لحظّك يومٌ لنْ يُفوّته ... هلاّ تذكّرتَ أيّاماً لقارون
لُمْ فنونك إني غيرُ مُنجذبٍ ... واحبسْ كنوزَك إني غيرُ مفتون
أحزُّ نفسي ، أرميها ، وأنكرُها ... لو استجابتْ إلى شيءٍ من اللين
طوّعتُها بيدي عبْداً أصرّفه ... مَنْ يملكُ النفسَ يحيا غيرَ مسْجون
عطورُ باريسَ لم تسبِ بفتْنتِها ... عن لَفْحة الشمس في «البرزين»(١) تُغنيني
ولا غواصفُ موسيقى بها ولعتْ ... عن صيحة الدّيك عند الفجر يدعوني
وأين شقراؤها تحكي بوسوسةٍ ... مِنْ صوت أمّي بتحنانٍ يُسلّيني
عيشُ بباريسَ ما أغوى شرائعه ... وعلمُ باريس مخلوطٌ بأفْيون
ماذا بها؟ لكأنّ الناسَ قد خُلقوا ... عن صورةِ الأنسِ من صُبْغٍ وتلوين
تختالُ في بُردةٍ حمراء من دمنا ... ومنْ تلاقيه تغويه بتمدين
ابن الأساطيرَ يحكيها ويكْسيها؟ ... نحنُ الأساطيرُ. مَنْ يحكي لنا الحون؟
حيران أخلقُ أيّامي وأحبسُها ... بينَ النقيضين : قدّيس ومَلْعون
مالي أغارُ على شيءٍ أضنُّ به ... لو رُحْتُ أعرفُ شيئاً غيرَ مضنون
سأركبُ النجمةَ العذراءَ ألطُمُها ... حتّى تحُطّ على أحْلامِ مجنون
أنّى الزمانُ علينا أنْ نُعانده ... فاحْتدْ يرشُقْنا منه بتأبين
يُخفي به الجبنُ حتّى لا نُجسّ به ... فرُحْتُ أمْرقُ بينَ الحين والحين
يغدو الخيالُ ورائي فهْوَ في تعبٍ ... البُعدُ يُظهرُني والقُربُ يُخفيني
أرضُ المجانين لا يرقى الخيالُ لها ... إلاّ على فرَسٍ من صُنع مجنون
أرضٌ من البحرِ لا يُدرى بموقعها ... كأنّه عزّ عن وَصْفٍ وتعيين
لا موتَ فيها ولا عُمْرٌ ولا أبدٌ ... والله يُعرفُ فيها دونَ تلقين
خطبتُ عزّتها بالروح فامْتنعتْ ... فكيفَ أظفرُ بالترحيب؟ دُلّوني
أوحتْ إليّ وقالتْ : أنتَ مُنْصعِقٌ ... الروحُ مني ، ومني كلُّ تكوين

باريس : ١٢ ـ ١ ـ ١٩٨٣ صالح عُضيمة

---

(١) البرزين : موقع بيت الشاعر في ريف اللاذقية .